سلسلة الدراسات التثقيفية

٢

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

موضوعات في الاشتراكية العلمية





دائرة الاعلام المركزي

طبعة اولى ١٩٨٤

تنبيه من مكتبة الشيوعيين العرب!

سلسلة "موضوعات في الاشتراكية العلمية"، في خمسة اجزاء، ليست من نسخ الصوت الشيوعي، بل من نسخ آخرين، وقد عثر عليها اثناء بحثه في الإنترنت.

قامت مكتبة الشيوعيين العرب بـ "تطهير" شامل للسلسلة من افكار شيوعية الخائن خروشوف المزيفة، التي عادت على الحركة الشيوعية الثورية بالدمار ... وقد قمنا بذلك من خلال حذف بعض الفقرات، حذف بعض الصفحات، وإعادة صياغة بعض الجمل والعبارات ذات الصلة.

لذا أقتضى التنويه.

الصوت الشيوعي

المحتويات

الاممية الاولى
١٨٦٤ - ١٨٧٢

لا يرجع تأثير افكار ماركس وانجلز في الحركة العمالية ، الى سنوات نشوء «جمعية العمال العالمية» اي الاممية الاولى ، فقبل ذلك بسبعة عشر عاما ، قام ماركس وانجلز بعمل كبير هو الخطوة الاولى باتجاه ارساء اسس حزب شيوعي .

وكان التفكير آنذاك ينصب على تحويله الى حزب للبروليتاريا في مختلف البلدان ، ظهر ذلك في صيف عام ١٨٤٧ حين انعقد في لندن اول مؤتمر لعصبة الشيوعيين . ولم تنبثق «العصبة» من فراغ ، فقد سبقتها في الحياة «عصبة العادلين» التي ضمت مجموعات اشتراكية عديدة كانت جميعها تسير وفق شعار «جميع الناس اخوة !» وجاء تأسيس «عصبة الشيوعيين» ليفتح مرحلة جديدة في تاريخ الحركة العمالية الاوروبية . فعقب عام واحد من تأسيسها اي في عام ١٨٤٨ ، اجتاحت اوروبا ثورة شملت جميع بلدانها وارست قواعد تحكم البرجوازية الناهضة في غالبية البلدان . وكانت الحركة العمالية انذاك تساهم في النضال الديمقراطي العام ، خلف شعارات البرجوازية ضد الاقطاع ونظم الحكم الامبراطورية .

● ● ●

نصّت المادة الاولى من النظام الداخلي «لعصبة الشيوعيين» على ان «هدف العصبة هو : اسقاط البرجوازية ، سيادة البروليتاريا ، القضاء على المجتمع القديم البرجوازي ، القائم على التناحر بين الطبقات ، تأسيس مجتمع جديد

دون طبقات وبدون ملكية خاصة»*

واعتبارا من المؤتمر الثاني «لعصبة الشيوعين» حل الشعار الكفاحي «يا عمال العالم اتحدوا» الذي صاغه ماركس وانجلز محل الشعار القديم «جميع الناس ، اخوة»، وعقب ثورة ١٨٤٨ البرجوازية حلت مرحلة جديدة في التاريخ الاوروبي ، اهم سيماتها نهضة صناعية واسعة وسريعة ، ادت الى بلورة طبقات المجتمع البرجوازي و بلورة افكار الطبقتين الاساسيتين فيه وهما البرجوازية والبروليتاريا . وشهدت حركة الطبقة العاملة نمواً واتساعاً كبيرين واعتنت بمفاهيم جديدة، كانت مختلفة نوعياً عن افكار الشيع الاشتراكية القديمة التي سبقت ظهور تعاليم ماركس وانجلز .

الا ان ذلك لم يعن ان الماركسية اصبحت في هذه المرحلة هي السائدة في الحركة العمالية والاشتراكية . فالى جانب الماركسية عاشت لفترة طويلة من الزمن شيع وتيارات انتهازية وطوباوية ، وكان لها تأثير ملحوظ على حركة البروليتاريا في اغلب البلدان البرجوازية . واضافة الى مختلف الشيع الآنفة الذكر ، كانت تعيش الفوضوية ، ومختلف التيارات التي احترفت التآمر بدلاً عن النضال السياسي الجماهيري .

منذ عام ١٨٤٨ حتى عام ١٨٦٤ حدثت تطورات عميقة في بنية المجتمع البرجوازي ، وداخل حركة البروليتاريا ، فظهرت في المانيا وغيرها احزاب اشتراكية ومنظمات ثورية للطبقة العاملة ، اخذت من التعاليم الماركسية حول النضال الطبقي بهذا المقدار او ذاك ، وبهذه الدرجة او تلك من الاختلاط والتشويه .

بعد انتهاء ماركس من كتابه المجلد الاول في مؤلفه الاساسي «رأس المال» وجه جهوده ونشاطه لقضية تنظيم البروليتاريا ورص صفوفها ، فكان عمله في تأسيس الاممية الاولى ذروة نشاطه الحزبي والسياسي .

تأسست الاممية الاولى في ٢٨ ايلول عام ١٨٦٤ ، اثر اجتماع عقد في لندن انتخب فيه ممثلو العمال الانكليز والفرنسيين والمنظمات البروليتارية والديمقراطية لمهاجري عدد من البلدان الاوروبية الاخرى ، لجنة قيادية للاممية كان ماركس في

---

* ماركس انجلز : المختارات ٤ مجلدات . مجلد ٣ ص- ١٥٣ -

قوامهـا . ولم يكن تأسيس الاممية الاولى نتاج تطـور وحيـد الجانب للظروف الموضوعية ، فقد ازداد وزن الطبقة العاملة في شتى بلدان اوروبا ، وعكَس تأسيس الاممية مرحلة ناضجة من وعيها السياسي بنفسها باعتبارها طبقة ، وانعكست ثورية الطبقةالعاملة ، في دور الافكار الماركسية في تأسيس الاممية ، وفي نشاطها اللاحق. اذ كان ماركس هو المؤسس الحقيقي للاممية وزعيمها وشكلت تعاليمه لُبّ كفاح الاممية الاولى وافكارها .

مرت الاممية الاولى بثلاث مراحل اساسية في نضالها وطابع تركيبها . وهذه المراحل هي :

١ . المرحلة الاولى : -

ومنذ اللحظة الاولى لتأسيس الاممية اصطدم ماركس ورفاقه بالمحاولات الجارية من قبل الجمهوريين البرجوازيين للسيطرة على المنظمة البر وليتاريا الا ان نضال ماركس وانجلز واتباعهما استطاع الذود عن الطابع الطبقي للاممية . وكانت اصعب المهام التي واجهت التيار الاشتراكي العلمي في الاممية الاولى ، وجود شيع عديدة اشتراكية برجوازية صغيرة في صفوف الاممية . وكانت هذه الشيع اصلاحية و«نقابية» . وجميع هذه التيارات كانت تناضل من داخل الاممية للاستيلاء عليها وتوجيهها وفق افكراها ومعتقداتها . وآنذاك لم يكن ممكنا تشكيل جمعية للعمال عالمية ، ودون الاعتماد على الحركة العمالية الموجودة فعلا . وكانت هذه الحركة تنوء تحت تأثير افكار هذه التيارات . ولهذا السبب اتسمت سياسة التيار العلمي بمرونة كبيرة في المرحلة الاولى ، اذ قبلت عمليا جميع التيارات والمنظمات الاشتراكية والعمالية على تباينها . الا ان التيار العلمي كان يناضل بثبات تحت قيادة ماركس ، من اجل توسيع نفوذه ، وتحويله الى قوة جماهيرية من خلال نشر افكاره بين صفوف العمال وبالنشاط داخل وخارج الاممية . ولعبت دوراً كبيراً في ايصال الافكار الماركسية للحركة العمالية ، من واقع ان فروع الاممية كانت تتلقى توجيهاتها من المركز الذي كان لماركس واتباعه نفوذ كبير فيه .

تجلت مرونة ماركس الكبيرة في وضع وصياغة اول وثيقتين برنامجيتين للاممية وهما «البيان التأسيسي» و«النظام الداخلي المؤقت» ففي حينها كتب ماركس الى انجلز يقول «ولقد كان من الصعب جدا صياغة ارائنا بحيث تنعكس بشكل تتطابق فيه مع المستوى المعاصر للحركة العمالية . وان الامر يتطلب فترة من الوقت ريثما تتيح الحركة الناهضة امكانية العودة لاستخدام اسلوب خطابنا الجريء السابق» . *

وثابر التيار الاشتراكي العلمي ، داخل الاممية ، في نشر وتوضيح افكاره بالتلازم مع دراسة واقع حركة البروليتاريا . فقد عرض «البيان التأسيسي» الذي كتبه ماركس للاممية الاولى مصائر البروليتارية خلال عقدين في ظروف النمو العاصف للرأسمالية بعد عام ١٨٤٨ واستنتج ماركس ، استنتاجا نظرياً هاماً هو ان اي تطور لاحق لقوى العمل المنتجة على الاساس الرأسمالية سيؤدي حتماً الى تعميق التناحرات الطبقية . وفي النظام الداخلي للاممية صيغت المبادىء الاساسية للاممية : «يجب ان يتم احراز تحرير الطبقة العاملة بايدي الطبقة العاملة نفسها» وان هدف نضال العمال هو «القضاء على اي سيادة طبقية» وان تحرر الطبقة العاملة الاقتصادي وهو الهدف الاسمى لكل حركة سياسية بروليتارية يتطلب التعاون والاتحاد الاخوي بين عمال مختلف البلدان . * وعلى رغم وجود مشاريع برنامجية اخرى فان الذي اقر كان تلك المشاريع التي كتبها ماركس وقد انطوى ذلك على اهمية تاريخية فيما يتعلق بمصائر الاممية . اضافة الى دور ماركس الفكري فانه لعب دوراً قيادياً في «المجلس المركزي» للاممية الذي سمي فيما بعد «المجلس العام» اضافة الى موقعه في المجلس العام كان ماركس يقوم بمهام في لجنة فرعية ويجمع معها مهام وظائف سكرتير مراسل لالمانيا ومن عام ١٨٦٥ لبلجيكا ايضاً . وقد اعتمد ماركس في نضاله على مجموعة من رفاقه المجربين فكرياً وسياسيا من اعضاء «عصبة الشيوعيين» القدامى ، الذين ساهموا وبالتدريج في تحويل التيار الاشتراكي العلمي ، الماركسي ، الى تيار سائد داخل الاممية . ويمكن القول ان المرحلة الاولى هي مرحلة التأسيس ولم تدم اكثر من سنتين .

---

* ستيباتوفا : كارل ماركس ـ سيرة الحياة ـ دار التقدم موسكو ١٩٧٩ ـ ص ـ ٢٨٠ ـ

* انظر : المصدر السابق ص ـ ٢٨٢ ـ

٢ . المرحلة الثانية : النضال ضد مدرستي برودون ولاسال .

اصطدم التيار الاشتراكي العلمي في نشاطه من اجل تنظيم الطبقة العاملة ورص صفوفها وتربيتها السياسية ، بالاعمال المضادة من قبل مختلف الكتل الاشتراكية داخل الاممية . وقد تميز الصراع بين التيار العلمي وهذه الكتل بسمة هامة هي انه بمقدار ما تنهض الطبقة العاملة للنشاط الثوري السياسي المستقل ، كانت هذه الكتل تتحول الى كتل رجعية شيئاً فشيء . ولهذا فان ماركس كتب وهو يصف الصراع داخل الاممية قائلاً ان تاريخها «كان عبارة عن نضال متواصل للمجلس العام ضد الشيع وضد محاولات الهواية المبتذلة التي سعت الى التوطد داخل الاممية ذاتها خلافاً للحركة الحقيقية للطبقة العاملة» . *

ورغم وجود ماركس في الهيئة القيادية للاممية ، فان الكثير من زعمائها الاخرين ، لم يكن لديهم تصور واضح للاشتراكية العلمية . اذ لم يكن من النادر ان ينبري قادة الاممية الاصلاحيون والانتهازيون الى الدفاع عن وجهات نظر ، معادية لضرورة تحويل الحركة العمالية الى حركة سياسية ، اوبالعكس الوقوف بوجه نضال العمال الاقتصادي ، والزعم ان هذا النضال يضر العمال انفسهم ، او الزعم ان على العمال الاكتفاء بالنضال الاقتصادي ، وكان ماركس وبالاستناد الى استنتاجاته الرئيسية في «رأس المال» يوظف وجهة النظر العلمية في كل هذه القضايا ، وكان لذلك تأثيره على الاحزاب العمالية من خلال مندوبيها في الاممية ، ومن خلال التوجيهات المباشرة التي تقدمها الاممية بشكل ملموس للطبقة العاملة في مختلف بلدان اوروبا .

ثار الصراع ضد «البرودينية» في المؤتمر الاول للاممية عام ١٨٦٥ وفي المؤتمر الثاني الذي عقد في جنيف (١٨٦٦) . ولم يحضر ماركس المؤتمر الاخير الا انه بعث بتوجيهاته لمندوبي المجلس المركزي ، وانصبت التوجيهات بالدرجة الاساس على

---

* المصدر السابق ص - ٢٨٣ -

النضال ضد «البرودونية» وطرح بمثابة مهام عاجلة امام الطبقة العاملة النضال ضد استقدام الرأسماليين للعمال الاجانب ابان الاضرابات والنضال ضد تسريح العمال ، ومن اجل يوم عمل من ثماني ساعات ، وتقليص ساعات عمل اليافعين والتربية الفكرية للعمال . واوضح ماركس الموقف من الحركة التعاونية ، فاكد على عكس تعاليم مدرسة برودون ، انه ليس بوسع الحركة التعاونية تغيير اسس المجتمع الرأسمالي . وفي معالجته لدور النقابات استند ماركس الى مؤلفه «الاجور والاسعار والارباح» و«بؤس الفلسفة» وقال ماركس ان النقابات يجب ان تكون نواتات تنظيمية لتربية العمال من اجل القضاء على الرأسمالية وليست مؤسسات للمطالب الاقتصادية الصغيرة التافهة .

وقدر لينين عالياً قرار الاممية الاولى حول النقابات والذي صيغ على اساس توجيهات ماركس . فكتب ان هذا القرار اشار بدقة : «الى دور النضال الاقتصادي ، وحذر الاشتراكيين والعمال ، اولاً من تقديره فوق قدره (وهذا ما كان يلاحظ آنذاك لدى العمال الانكليز) ، ثانياً من تقديره اقل من قدره (وهذا ما كان يلاحظ عند الفرنسيين والالمان وبخاصة عند اللاساليين)»* ورغم نشاط البرودونية فان توجيهات ماركس اقرت من قبل اغلبية المندوبين . وقد استمر نضال التيار العلمي ضد «البرودونية» في المؤتمرات اللاحقة : في بروكسل (١٨٦٨) وبازل (١٨٦٩) وفي المؤتمر الاخير تم ايقاع هزيمة نهائية بهذا التيار البرجوازي الصغير .

واذا كانت «البرودونية» هي العدو الاول للماركسية في فرنسا وبلجيكا ، فان عدوها الاول في المانيا كان مدرسة لاسال . ورغم وفاة الاخير قبل تأسيس الاممية الا ان اتباعه في الاتحاد العام لعمال المانيا كانوا يواصلون التمسك بافكاره وتكتيكه ، وتسود بين صفوفهم عبادة لاسال .

شن ماركس وانجلز حملة واسعة ضد افكار لاسال بصدد المساومات مع الرجعية ، واذ كان يصف مغازلة برودون للويس بونابرت بانها دناءة ، فقد وصف لاسال بانه «ضال مشؤوم» يعمل بالعند من شرف الحزب البروليتاري ويعمل على

---

* لينين : المختارات في عشره مجلدات . مجلد ١ ص - ٤٨٨ - ٤٨٩

تحويل حركة الطبقة العاملة الى حركة هجينية ، نصف ثورية ، نصف انتهازية ، «فالطبقة العاملة اما ان تكون ثورية او تكون عديمة المعنى»*

لم تظهر نتائج نضال التيار الاشتاركي العلمي في فرنسا ، الا في وقت متأخر قياساً بالمانيا . فبعد ان يأس ماركس وانجلز وقادة عماليون المان اخرين امثال ليبكنخت وبيبل ، من جر الاتحاد العام لعمال المانيا الى تبني مبادىء الاممية الاشتراكية ، انصب النشاط على تأسيس اول حزب ماركسي جماهيري . وقد تأسس هذا الحزب فعلاً في المانيا ، وشكل باكورة قيام احزاب ماركسية ثورية للطبقة العاملة .

في عامي ١٨٦٥ ـ ١٨٦٦ أخذت تتكون فروع للاممية في شتى المدن الالمانية ، وكانت تناضل بمعزل عن الاتحاد العام لعمال المانيا . واصبح «اتحاد الجمعيات التنويرية للعمال الالمان» طريقاً آخر اكثر رحابة امام العمال لمعرفة الماركسية والاممية . وكان ليبكنخت وبيبل ينشران افكار ماركس والاممية داخل هذا الاتحاد ، وهذان القائدان العماليان الثوريان ، اصبحا لاول مرة في التاريخ نواب عماليين جرى انتخابهما اعضاء في «الرايخشتاغ» من قبل العمال عام ١٨٦٧ . ونتيجة لنشاط العناصر الماركسية وتراكم خبرة الطبقة العاملة الالمانية اقرت «الجمعيات التنويرية» في مؤتمرها عام ١٨٦٨ برنامجاً يقوم على مبادىء الاممية . بعد ذلك بعام تأسس اول حزب ماركسي هو «حزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الالماني» ودشنت ولادة هذا الحزب عملية التحام الماركسية بالحركة الجماهيرية للطبقة العاملة ، وافتتح مرحلة جديدة في تاريخ الاحزاب العمالية والاشتراكية ، وتلك هي مرحلة تأسيس الاحزاب البروليتارية الجماهيرية في مختلف بلدان اوروبا وفي الولايات المتحدة وكندا .

٣ . المرحلة الثالثة : انتصار الاشتراكية العلمية في الاممية

بحلول عام ١٨٦٨ حلت مرحلة جديدة في تاريخ الاممية ، اذ حدثت تغيرات

---

* ستيبانوفا : كارل ماركس ـ مصدر سابق ـ ص ـ ٢٩٠ ـ

جديـدة داخلهـا لصـالح انتصـار الاشتراكية العلمية . ففي كل الفترة السابقة على هذا العـام كانت مختلف الشيـع والاحـزاب العـمـاليـة تقبل في الاممية دون النظر الى اختـلافـات الكبيرة الموجودة في افكارها . وبصدد النضال من اجل تنقية الاممية من التيـارات غير العلميـة كتب ماركس في هذا العـام ، ان وحـدة الاعـمال التي ينص عليهـا برنـامـج الاممية ينبغي ان تقـترن بوضـع برنـامج نظري مشترك . وكان من علامات التحول في الاممية نحو الماركسية قرار مؤتمر بروكسل للاممية (١٨٦٨) الذي (وصى عمال جميـع البلدان بدراسـة كتـاب «رأس المال» والعمل على ترجمته الى كل اللغات الاوروربية . وفي هذا المؤتمر تم الانتصار النهائي داخل الاممية على الافكار الـبرجوازية الصغيرة المؤيدة للملكيه الخاصة ، ورغم معارضة الفوضويون ـ الذين كانـوا ما يزالـون في الامميـة ـ صادق المؤتمـر على قرار بضرورة تحويل الاراضي المزروعة والغابات والمنـاجم والسكـك الحديد والبريد ، وبعبارة اخرى ، القضاء على الملكية الخاصة في الصنـاعـة والـزراعـة . وجـرى التأكيـد على افكـار ماركس بصدد الغاء الملكية الخاصة في مؤتمر بازل (١٨٦٩) للاممية . وادى ذلك الى الاصطدام مباشرة مع بقايا «الـبرودنيـين» داخـل الاممـيـة ، ومـع خصـم اخر لايقل خطورة هو الفوضوية بقيادة باكونين . فقد انتشرت افكار باكونين الفوضوية في كل البلدان التي كان ما يزال الانتاج الصغير فيها سائدا مثل روسيا وايطاليا واسبانيا وسويسرا .

كانت فوضـويـة باكـونـين خير تعبـير عن احتجـاج وسخـط وبأس الـبرجوازية الصغـيرة من الانتـاج الـرأسمالي الكبير الذي يهددها بالسحق . ولهذا حملت افكاره كل النزعات الداعية للعودة الى مجتمع مـا قبل الرأسمالية .

في عام (١٨٦٨) قرر باكونين ان يستخدم الاممية كحلبة لنشر افكاره اكثر فاكثر . فتقـدم بطلب للانتسـاب اليهـا مرفقـاً ببرنـامجـه ونظـامـه الداخلي . نص البرنامج الفـوضـوي على دعـوة الجماهير للثورة الدائمة ، والتعويل على الانتفاضة العفوية لقيـام الثـورة وعلى دور الشعب ، وكـان الـبرنـامج يعوّل على مثالات البروليتاريا والعناصر المتفسخة طبقياً ، واخطر ما في البرنامج الدعوة «للمساواة بين الطبقات !» والغـاء حق الـوراثـة باعتبـاره نقطـة انطلاق الحركة الاجتماعية (لاحظ:ان الغاء حق الـوراثـة وليس الملكيـة الخـاصـة) والاكثـر مدعاة للبؤس «الامتناع عن المشاركة في

السياسة» وقد وصف ماركس برنامج باكونين بانه نفايات فكرية جمعت من هنا وهناك بطريقة مضحكة . وكان ماركس وانجلز مقتنعان ان وجود باكونين في الاممية يعني قيام أمميتين وقيادتين لهما . وذلك بسبب الطابع التآمري في سلوك وفكر باكونين . فرفض طلب باكونين . وبعد اشهر من ذلك توجه باكونين بطلب آخر للانتماء مع تصريح منه يتعهد فيه بحل تنظيمه في حال قبوله في الاممية . وافق المجلس العام للاممية في اذار ١٨٦٩ على طلب باكونين . وفي قرار قبوله كتب ماركس نقدا شديدا للباكونينية مع الاشارة الى انه قبل في الاممية بشرط حل تنظيمه . فقال «ليس المساواة بين الطبقات ـ غير المعقولة والتي لا يمكن تحقيقها في الواقع ـ بل على العكس القضاء على كل الطبقات ذلك هو السر الحقيقي للحركة البروليتارية الذي اصبح هدفا عظيما لجمعية العمال العالمية»* لم يقم باكونين ـ كما تعهد ـ بحل تنظيمه المتحالف مع تنظيم آخر فوضوي بقيادة غليوم تحت اسم «الحلف» بل حدث العكس اذ قام بنشاط محموم في مؤتمر بازل (١٨٦٩) من اجل الاستيلاء على قيادة الاممية . لكن النجاح لم يحالفه لان العنصر الماركسية كانت مسيطرة ، وكان باكونين يحظى بتأييد العناصر الاشتراكية الملكية البروسيه وزعماء النقابات اليمينية الانكليزية فقط .

فجرت المسألة الارلندية والموقف منها ، الصراع على اشده بين انصار ماركس وباكونين . كان موقف باكونين يتلخص في انه ليس من اختصاص الأممية معالجة القضايا المحلية كالمساواة الارلندية . كان هذا يجري وسط هجوم شامل كان الفوضويون يشنونه ضد قيادة الاممية . وبصدد المسألة الايرلندية التي هي قضية تحرر وطني ، كان ماركس قد توصل الى استنتاجات في عام ١٨٦٩ تختلف عن تلك الاستنتاجات التي توصل اليها في فترة سابقة . آه كان ماركس يقول ان وصول البروليتاريا الانكليزية للسلطة سيؤدي الى انهاء الاضطهاد القومي لارلندا . وفي العام الانف الذكر ، انتقد ماركس افكاره السابقة وتوصل الى استنتاج معاكس يتلخص في ان البروليتاريا الانكليزية لا تستطيع ان تستولي على السلطة طالما لم

---

* ستيبانوفا : كارل ماركس ـ مصدر سابق ـ ص ٢٦٤ ـ

تصبح ارلندا حرة . اذ كانت ايرلندا حصن الارستقراطية الانلكيزية ومصدر ثرائها . وتحطيم قلعة اللوردات الانكليز في ايرلندا ـ كما يقول ماركس ـ سيؤدي الى تحطيمهم في انكلترا ذاتها . واشار ماركس في موقفه من المسألة الايرلندية ، الى ان استعباد البرجوازية الانكليزية لشعب ايرلندا اتاح لها تقسيم الطبقة العاملة الانكليزية واضعاف وعيها وحسها الثوري . ولم يكن موقف ماركس من قضية التحرر الوطني هذه نابعاً من احساس مجرد بالعدالة . اذ كان يخاطب العمال الانكليز بقوله ان تحرير ايرلندا هو الشرط الاول لتحررهم انفسهم «ان شعبنا يستعبد شعباً آخر يصنع قيوده بنفسه» .

كان ماركس يعول على ان نجاح ثورة التحرر الوطني في ايرلندا سيؤدي الى الاسراع بالثورة الاجتماعية في انكلترا ويرفع وتيرة النشاط الثوري . فالانكليز ـ كما يقول ماركس ـ اوجدوا مقدمات الثورة المادية اكثر من اي بلد رأسمالي آخر ، الا ان الذي ينقصهم كان روح الاتقاد الثوري .

في الموقف من المسألة الايرلندية عالجت الاممية قضية من اهم القضايا التي ستظهر في القرن العشرين باعتبارها تيار عالمي في الثورة يلعب دوراً جوهرياً في تقويض الرأسمالية على النطاق الدولي . وكان موقف ماركس والاممية الاولى مؤشر هام على بلورة موقف الاشتراكية من القضايا القومية العادلة في البلدان المستعمرة والتابعة فقد دعا ماركس الى اتحاد حر متكافىء بين انكلترا وايرلندا الحرة ، اذا كان ذلك ممكناً ، او الى انفصال تام اذا كان ذلك ضرورياً . *

وسوف نرى ان قضايا التحرر الوطني والموقف من الحروب الاستعمارية ومسألة حق الامم في تقرير المصير ، اصبحت هي القضايا الاساسية التي ميزت الاحزاب الاشتراكية الانتهازية في الاممية الثانية من الاحزاب الاشتراكية الماركسية الثورية . والتي ادى الصراع بينهما الى افلاس الاممية الثانية وظهور الاممية الثالثة الذي ترافق مع طور جديد من اطوار نمو الاحزاب العمالية ، ذلك هو ظهور الاحزاب الشيوعية في مختلف البلدان .

---

* انظر : ماركس انجلز ـ رسائل مختارة ـ دار التقدم موسكو ١٩٨٢ ـ ص ١٦٦ ـ رسالة ماركس الى «مايير وفوغت» في ٩ نيسان ١٨٧٠

الاممية وكومونة باريس

نشبت الحرب الفرنسية ـ البروسية في تموز ١٨٧٠ ، واصبحت امتحاناً جدياً للاممية الاولى . اذ كان عليها ان تقدم موقفاً دقيقاً وصائباً من الحرب وان توضح اسبابها ، وبم تختلف عن حروب التحرر الوطني العادلة ، وبالتالي ان تقود عمال البلدين المتحاربين ضد الحرب ومشعليها . وفور نشوب الحرب كلف المجلس العام «للاممية ماركس بكتابة نداء الى جميع العمال حول الحرب» . فكتب ماركس باسم الاممية نداءين . وصف ماركس الحرب بانها حرب نهب وسلب بين اسرتين مالكتين ، وانها سوف تؤدي الى انهيار الامبراطورية الفرنسية الثانية . وكان تحليل الاممية هذا قد ثبتت صحته تماماً فيما بعد . وعندما اندلعت ثورة البروليتاريا الباريسية (الكومونة) قامت الاممية باضخم عمل نظري وسياسية ودعائي من اجل اسناد ابطال باريس . ففي الجانب النظري قدم ماركس بتكليف من المجلس العام للاممية كتابه «الحرب الاهلية في فرنسا» الذي يعد من اهم وثائق الاممية في قضية الثورة البروليتاريا . وكتبت الاممية جملة من النداءات التي توضح للعمال في كل ارجاء اوروبا وامريكا وكندا طبيعة الثورة العمالية ، كما قام كل من ماركس وانجلز بدراسة متأنية لتجربة الكومونة تركت اثار عميقة في النضال العمالي اللاحق في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . وفي الدفاع عن الكومونة ضد الهجوم البرجوازي العام في اوروبا من اجل تشويهها قامت الاممية بنشر عشرات الرسائل كتبت بقلمي ماركس وانجلز ، كان اغلبها ينشر في الصحف البرجوازية ، للرد على تشويهات وتشنيعات البرجوازية ضد الكومونة . وتحولت دروس الكومونة الى مادة لصراع حاد داخل الاممية ذاتها .

كانت الايديولوجية الفوضوية هي حجر العثرة الاول ، امام تعميم واستيعاب التجربة الثمينة للكومونة . فكرست الاممية مؤتمر لندن (١٨٧١) لدراسة خبرة الكومونة . وكان الموضوع الاساسي في المؤتمر هو النشاط السياسي للطبقة العاملة . وجاء في القرار الذي اتخذته الاممية بصدد نشاط البروليتاريا السياسي «لا تستطيع البروليتاريا ، حيال السلطة الجماعية التي تمارسها الطبقات المالكة ، ان تعمل

كطبقـة ، الا اذا تنظمت في حزب سيـاسي خاص»* يختلف عن كل الاحـزاب القـديمـة التي اقـامتها الطبقات المالكة . واشار القرار الى ان هذا التنظيم ضروري لاحـراز الانتصـار والـوصول بالثورة الى اهدافها النهائية اي تصفية الطبقات . قال ماركس في خطـاب القـاه بعد انتهاء المؤتمر ، ان هدف الاممية انما يتلخص في تنظيم وتوحيد قوى الطبقة العاملة استعداداً للثورة القادمة .

عقب مؤتمـر لنـدن عبأ الفـوضـويـون قواهم ، واصدروا بياناً ، وجهوه الى كافة فروع الاممية تنكـروا فيه لنتائج مؤتمر لندن . وقد اتخذت غالبية فروع الاممية موقفاً سلبياً من بيان باكونين . الا ان ذلك لم يقلل من خطر نشاط الفوضويون ، اذ جمعوا قواهم للهجـوم العـام على الاممية على اعتـاب مؤتمـر الاممية عام ١٨٧٢ . بذل ماركس وانجلز نشـاطـاً واسعـاً في التحضـير لهذا المؤتمر الذي كتب ماركس عنه «ان الكـلام سيـدور في هذا المؤتمـر عن حياة الاممية اوموتهـا»* وفي هذا التـاريخ كان نفـوذ باكـونين قد تقلص ، اذا تأسسيت فروع للامميـة في كل من اسبـانيـا والبـرتغـال وايـرلنـدا والنـهارك وتعزز تنظيمها في الولايات المتحدة ، ولم يتبق لباكونين من نفوذ سوى في الحركة العمالية الايطالية بالدرجة الاسـاس . في مؤتمـر لاهـاي (١٨٧٢)نـاضل الفوضويون من اجل تقليص مهمات وصلاحيات المجلس العام للاممية ، بعد ان فشلوا في ايصال مندوبيهم الى المجلس العـام . الا ان المؤتمـر صـادق على توسيـع صلاحيـات المجلس العـام وصادق على ادخال مقررات مؤتمر لندن (١٨٧١) حول النشاط السياسي للطبقة العاملة ومسألة ضرورة تأسيس احزاب عمالية ، في النظام الداخلي للاممية . ومن هذا التاريخ اصبح لزامـا على اعضـاء الامميـة ان يكونوا احزابا عمالية . وقد احتدم الصراع حين درس المؤتمـر وثـائق سريـة حول حلف سري بين باكـونين وغليوم معادي للاممية . وكانت النتيجة ان طرد باكونين وغليوم من الاممية نهائياً . وجاء قرار طرد الفوضويين بالتلازم مع اجراءات تنظيمية صارمة ومركزية لحماية الاممية في الوقت الذي كانت البرجوازية تشن ابشـع حملاتهـا الارهـابية ضدها ، عقب هزيمة كومونة باريس . بين انجلز في رسالته الى كورنو في ٢٤ كانون الثاني ١٨٧٢ ، الصلة بين الباكونينية والهجوم العام

---

* ستيبانوفا : كارل ماركس ـ ص ٣٢٨ ـ

* المصدر السابق ص ـ ٣٣٣ ـ

البرجوازي على الاممية ، ففي كل مكان تعرضت الاممية هجمات ارهابية وفي كل مكان ايضاً كان باكونين يقوم بدسائسه ضد الاممية ومن الصعب ان يتخلص المرء من «الفكرة القائلة ان للسادة من البوليس الدولي ضلعا في هذا»*

في مؤتمر لاهاي الذي هو آخر مؤتمر من الناحية العلمية للاممية ، جرى المصادقة على نقل مقر المجلس الى الولايات المتحدة . وقد اعتذر ماركس عن الاستمرار في مهامه في المجلس العام . ولخص ماركس في خطاب القاه عقب المؤتمر نتائج نضال الاممية واهمية المؤتمر الاخير للاممية ، فاشار الى ان اهم النتائج كانت ادراج مقررات لندن في النظام الداخلي ، وادنة الامتناع الخطر والمهلك عن السياسة ، والاعتراف بضرورة استيلاء البروليتارية على السلطة السياسية .

وبتأثير الاضطهاد الشرس من قبل الحكومات الاوروبية لفروع الاممية ، والنشاط الهدام للفوضوية وزعماء النقابات الصفراء اصبح وجود الاممية في اوروبا مرتبطا باخطار كبيرة .

كتب ماركس في رسالة توجيهية الى الامين العام للمجلس العام في نيويورك . «اخذا بعين الاعتبار الوضع في اوروبا اعتقد انه من المفيد ان توضع مسألة التنظيم الشكلي للاممية في الموضع الثاني . . . الاحداث ذاتها والتطور المحتوم وتعقد الموقف ستتكفل جميعها باحياء الاممية بشكل محسن»**

جاء توقف شكل التنظيم الاممي الاول عن الحياة مترافقاً مع جملة تطورات سياسية وفكرية في حركة الطبقة العاملة العالمية ، ومع الوضع في الاممية ذاتها . وقد قامت الاممية الاولى بمهام تاريخية كبرى تمثلت في الانتصار الفكري للماركسية والنجاحات في الدعاية للاشتراكية العلمية ، وبدايات توحيد الاشتراكية العلمية بحركة الطبقة العاملة ، ونشأت كادرات عمالية ثورية ماركسية في مختلف البلدان الاوروبية استطاعت فيما بعد انشاء احزاب عمالية تسترشد بالماركسية . ولم يعن توقف مؤتمرات الاممية الاولى ، ان اشكال التعاضد والتعاون الاممي بين عمال

---

* ماركس انجلز ـ رسائل مختارة ـ ص ٢٠١ ـ

* * ماركس انجلز ـ رسائل مختارة ـ ص ـ ٢٠٦ ـ

مختلف بلدان اوروبا قد توقفت . فقد قامت صلات نضالية اممية بين كافة الاحزاب العمالية ، وباشكال مختلفة ، تتلائم مع طبيعة الظروف الناشئة حتى قبل قيام الاممية الثانية

نفذت الاممية الاولى رسالتها التاريخية و«ارست اسس النضال العالمي في سبيل الاشتراكية»*

وتحولت وثائق الاممية الاولى وصراع التيار الاشتراكي العلمي ضد الانتهازية والفوضوية الى جزء هام في الفترة الاخيرة النظرية والسياسية لكل احزاب الطبقة العاملة في العالم . ويمكن تصور اهمية الاممية الاولى في نشر الاشتراكية العلمية وتوحيدها بحركة الطبقة العاملة ، اذا اخذنا الظروف التي كانت سائدة آنذاك في البدايات الاولى لنمو الوعي السياسي للطبقة العاملة ، فقد شقت الاممية الاولى طريقاً مبكراً لم يكن قد سلكه احد من قبل ، وهي بهذا وضعت حركة الطبقة العاملة الاوروبيه والعالمية في اطارها الفكري والتاريخي الذي على اساسه تم بناء الاحزاب الشيوعية ، والعمالية الثورية ، التي بدأت باكورتها بانتصار حزب البلاشفة في روسيا وقيام اول دولة للعمال والفلاحين في العالم .

* * *

---

* لينين : المختارات . مجلد ٨ ص - ٥١٤ -

الفصل الثاني

كومونة باريس

١٨ آذار - ٢٩ ايار ١٨٧١

استيقظت باريس فجـر الثـامن عشـر من آذار عام ١٨٧١ على صرخـة كقصف الـرعـد : «عاشت الكومونة !» فارتعدت فرائص البرجوازية والملاكين العقاريين في فرنسـا وكـل اوروبـا . فهاهم عمال باريس «يقتحمون السماء» كما يقول ماركس بقبضاتهم في اول انتفاضة عمالية كان هدفها اقامة سلطة الطبقة العاملة الثورية .

كتبت اللجنة المركزية للكومونة في بيان بتاريخ ١٨ اذار ١٨٧١ : «ان بروليتاري العاصمة ، ادركوا ، وسط عجز الطبقات الحاكمة وخياناتها ، انه قد حانت الساعة التي يترتب عليهم فيها ان ينقذوا الوضع بان يأخذوا بايديهم ادارة الشؤون العامة . لقد ادركت البر وليتاربا انه من واجبها الملح ومن حقها المطلق ان تجعل نفسها سيدة لمصيرها ، وتضمن النصر بتسلمها السلطة الحكومية»*

حكم عمال باريس انفسهم بانفسهم واقـامـوا شكـلا من ديكتاتورية البر وليتارية عاش اكثر من شهرين ، ثم اغرقته البرجوازية بدماء اكثر من مائة الف عامل ثوري قتلوا في مجازر جماعيـة على يد جنـرالات حكـومـة «فـرساي» البرجوازية لكن بطولة الكـومـونيـون ، هزت اوروبا من اقصاها الى اقصاها ، وايقظت كل عمالها ، على دوي مدافـع الـبرجـوازيـة ضد باريس المحاصرة ، والهمتهم تجربة الكومونة دروسا ثمينة تحولت الى حجر زاوية في النضال اللاحق للعمال في اوروبا والعالم . سقط آخر المـدافعـين عن الكـومونة في ٢٨ أيار ١٨٧١ . وبعد يومين فقط وضع ماركس مؤلفه «الحـرب الاهليـة في فرنسـا» وقبـل ذلـك كانت الاممية الاولى ، «المجلس العـام

* ماركس - انجلز - لينين - كومونة باريس - دار الفارابي ١٩٧٥ ص - ٦٠ -

للجمعية الاممية للشغيلة» قد وجهت ثلاث نداءات متتالية الى عمال أوروبا حول الكومونة ، واصبح النداء الذي كتبه ماركس حول الحرب الاهلية فر فرنسا من اعظم المؤلفات عن الاشتراكية العلمية . ففيه جرى عرض الموضوعات الاساسية حول الصراع الطبقي ، والدولة والثورة ، وديكتاتورية البروليتاريا ، ومعنى الديمقراطية البرجوازية . وفيه طور ماركس من خلال دراسة تجربة الكومونة بعض المفاهيم الاساسية حول الاشتراكية العلمية ، التي عرضت في البيان الشيوعي (١٨٤٧) . وفي المقدمة الرابعة التي كتبها ماركس وانجلز للبيان الشيوعي ، ثبت مؤسسا الاشتراكية العلمية ان بعض جوانب البيان الشيوعي ، قد شاخت ، بعد دروس الكومونة ، خاصة ذلك الجزء الذي يتعلق بموقف البروليتاريا من آلة الدولة البرجوازية .

تعد ثورة ١٨٤٨ البرجوازية التي عمت اوروبا ، اشبه بلعب الصبيان ، بالمقارنة مع الكومونة ، كما يقول انجلز ، فقد جاءت الكومونة عقب تطورات عميقة في اوروبا شملت بنية المجتمع البرجوازي بكل وبنية الطبقتين الاساسيتين فيه اي البرجوازية والبروليتاريا . كانت الاممية الاولى قد تأسست عامن ١٨٦٦ وكان قسم كبير من عمال باريس قد انضموا اليها ، واصبح لها فرع فرنسي خاص .

وكان تاريخ الامبراطورية الفرنسية الثانية ، هوتاريخ لحروب التوسع الاقليمي والشوفينية البرجوازية التي وجدت خير تعبير لها في قيادة نابليون لكتائب البرجوازية وهي تجوب اوروبا ، التي ورث عنها لويس بونابرت ، الفكر الشوفيني دون القوة القادرة على فتح البلدان واستعباد الشعوب الاخرى .

ولم تدغدغ مخيلة البرجوازية الفرنسية قضية كقضية الاستيلاء على الضفة اليسرى لنهر الراين التي كانت تحت سيطرة بروسيا . وهكذا اندلعت الحرب بين فرنسا وبروسيا في ١٨٧٠ وانتهت بهزيمة لويس بونابرت في سيدان . وفي ايلول ١٨٧٠ جاءت الثورة الباريسية ، في الوقت الذي كانت جيوش الامبراطورية اما اسيرة في المانيا ، اومشتته جراء الهزيمة . فانهارت الامبراطورية كقصر من ورق . وكانت باريس موقة بالجنود البروسيين . في هذا الوضع سمح الشعب للنواب الباريسيين في الهيئة التشريعية القديمة ، بان يؤلفوا من بينهم «حكومة

الـدفـاع الـوطني» الـذي اصبـح تاريـخ قيـامها هو تاريخ نشوء الجمهورية الفرنسية الثالثة . ولقي هذا الاجراء تأييدا شاملا فهب جميع سكان باريس لحمل السلاح من اجل الدفاع عن مدينتهم المحاصرة . وهكذا امسك العمال بالسلاح ، لكن سرعان مـا دب التناحر بين العمال المسلحين والحكومة المؤقتة المؤلفة من البرجوازيين .

في ٣١ تشرين الاول ١٨٧٠ اقتحمت كتائب العمال دار البلدية واسرت قسماً من اعضـاء الحكـومـة ، جراء خيـانـة «حكـومـة الدفاع الوطني» وتواطؤها مع المحتلين الـبر وسيـين . وتفـادى العمال في البدء نشوب حرب اهلية في مدينة مطوقة من قبل الاعداء . فسمّحوا للحكومة البقاء في الحكم وتمشية الامور العامة . في ٢٨ كانون الثـاني ١٨٧١ استسـلمت باريس للغـزاة الالمـان ، بعـد ان انهكهـا الجـوع وكـان استسلامها قد تم بشروط مشرفة ، بحيث لم يجرؤ البر وسيون على دخولها حتى بعد استسلامها .

احتفـظ الحـرس الـوطني المكون بغالبيته من العمال بسلاحه ومدافعه وعقد هدنة فقـط مع المنتصـرين . الف الـبرجـوازي (تيـير) حكـومة جديدة بعد التوقيع على استسلام باريس . ومنذ اللحظة الاولى ادركت البرجوازية ان مصالحها في خطر ما دام عمال باريس يحتفضون باسلحتهم . فكان اول اجراء لحكـومـة (تيير) هو توجيه الكتائب البرجوازية التي لم تقاتل ضد الالمان ، دفاعا عن الوطن ، نحوباريس لنزع سلاح الـبر وليتـاريا . في ١٨ آذار توجهت قوات الميدان التابعة للحكومة البرجوازية الى باريس للاستيلاء على مدفعية العمال . لكن باريس هبت كرجل واحد ومنعت قوات الحكـومـة من تجريـد سلاح العـمال.وخاضت كتائب العمال معارك منعت فيها قوات الحكومة من دخول باريس واعلنت الكومونة اعتبارا من هذا التاريخ ، في ٢٦ آذار جرى انتخـاب الكـومـونـة واعلنت رسميـا يوم ٢٨ منـه . وفوراً تنازلت اللجنة المركزية للحرس الوطني ، التي كان الحكم بيدها عن صلاحياتها للكومونة . وهكذا اعتبـاراً من ١٨ آذاربـرز الطابع الطبقي الصرف للحركة العمالية الباريسية . فهرب اعضـاء حكـومـة (تير) مع شرطتهم وخدمهم وعاهراتهم الى (فرساي) . واتخذت الكومونة سلسلة اجراءات بروليتارية الطابع .

لم يسقط اخر المدافعين عن الكومونة الا بعد معركة دامية استمرت ثمانية ايام على

مرتفعات «بيلفيل» ، وبعدها حلت مجزرة النساء والرجال والاطفال ، حيث حصدت البرجوازية طيلة اسبوع كامل ارواح ٤٥ الف من مواطني باريس في حملة بربرية كان يجري قتل الناس فيها بالجملة ، ولم تستطع حملة الابادة السوداء القضاء على جميع الكومونيين فلجأت الحكومة البرجوازية الى حملات الاعتقال التي شملت اكثر من (٦٠) الف مواطن ، جرى اعدام قسم كبير منهم رميا بالرصاص ، دون محاكمات ، ورغم اعتبارهم اسرى حرب ، كما اعلنت الحكومة ذاتها .

قيادة الكومونة

كان اعضاء الكومونة ينقسمون الى قسمين : اكثرية من البلانكيين كانت مسيطرة في اللجنة المركزية للحرس الوطني ، واقلية من الاشتراكيين البرودونيين (اتباع برودون) . ولم يكن البلانكيون آنذاك اشتراكيين الا بغريزتهم الثورية . ولم يصل لا البرودونيون ولا البلانكيون ، الى اي ادراك واضح للاسس الاشتراكية العلمية ومبادئها . وهذا ما يفسر الكثير من الاخطاء واوجه القصور في حياة واجراءات الكومونة الطبقية . لقد تحمل البرودونيون مسؤولية اجراءات الكومونة الاقتصادية بسلبياتها وايجابياتها ، اما البلانكيون فقد تحملوا مسؤولية الاجراءات السياسية للكومونة .

كانت مدرسة برودون مدرسة للاشتراكية الفلاحية الصغيرة ، حملت معها كل اوهام الاشتراكيات ما قبل الاشتراكية العلمية . اما البلانكية فكانت مدرسة ثورية عفوية ، تؤمن بانه يمكن القيام بالثورة من خلال منظمة ارهابية صغيرة محكمة التنظيم تشن هجوما عاصفا ينتصر ومن ثم يجذب ابناء الشعب الى الثورة .

حذر ماركس في عام ١٨٧٠ في نداء الاممية الاول ، عمال باريس من خوض معركة غير متكافئة ضد البرجوازية ، لكنه حين فرضت المعركة على البروليتاريا ، هب للدفاع عن ابطال باريس دفاعا مجيدا ، وقيّم بطولات العمال ، على عكس ما

كان يفعله الانتهازيون الذين كانوا يكتفون بترديد عبارة «ما كان على العمال حمل السلاح !» ولم يكتف ماركس بالدفاع عن الكومونة ، بل درس وحلل هذه التجربة البروليتارية الاولى وتوصل الى استنتاجات علمية تركت اثاراً كبيرة على نضال العمال اللاحق ، ومن الناحية العلمية والفكرية ، فان دروس الكومونة ، سلبياتها وايجابياتها ، التي درست من قبل ماركس وانجلز ولينين ، قد تحولت الى حجر الزاوية في اقامة سلطة الطبقة العاملة والفلاحين في روسيا عام ١٩١٧ .

شنت البرجوازية في اوروبا كلها ، عقب هزيمة الكومونة ، ابشع حملة تشهير ضد الكومونة ، فقد اتحدت كل قوى اوروبا الرجعية ف حملة التشنيع التي جهدت لتصوير الثورة البروليتاريا وكأنها ثورة رعاع ولصوص ومجرمين . والحال في الواقع كما قال احد العمال الباريسيين آنذاك ، ان باريس اصبحت مأمونة لاول مرة منذ عام ١٨٤٨ «لم نعد نسمع بالاغتيالات والنهب والاعتداء على الافراد ، ويبدو حقاً ان الشرطة قد جرت معها الى فرساي جميع زبنائها المحافظين» !*

وتبعت النساء الساقطات بائعات اللذة اولياءهن - هؤلاء الفارين ، حماة العائلة والدين وفوق كل شيء حماة الملكية الخاصة ، ذهبن مع الشرطة واعضاء الحكومة البرجوازية الى فرساي ، وظهرت نساء باريس البطلات النبيلات يقاتلن الى جانب اخوتهن العمال في باريس المقاتلة النازفة دما . لكنها المتقدة حماسا بوعي مبادرتها التاريخية .

صاغ ماركس جملة قرارات اتخذت في اول اجتماع لاحياء ذكرى الكومونة عام ١٨٧٢ . جاء في هذه القرارات :

- ١ -

يعتبر (الاجتماع) الحركة المجيدة التي افتتحت في ١٨ اذار ، فجر الثورة الاجتماعية الكبرى التي تحرر الانسانية الى الابد في حكم الطبقات .

---

* ماركس - انجلز - لينين - كومونة باريس - ص - ٧١ - .

- ٢ -

يعلن ان حماقات وجرائم الطبقات البرجوازية المتحالفة في كل اوروبا ، في حقدها على الشغيلة ، قد حكمت بالموت على المجتمع القديم ايا كانت اشكال حكومته ، ملكية ام جمهورية .

- ٣ -

يعلن ان الحملة الصليبية لكل الحكومات الرجعية ضد الاممية ، ورعب القتلة الفرساليين كما رعب المنتصرين البروسيين ، تثبت بطلان نجاحاتهم وتؤكد وجود جيش البروليتاريا العالمي الذين يهددهم ، ووراء طليعته البطلة . *

اجراءات الكومونة السياسية والاقتصادية

إتخذت سلطات الكومونة الثورية سلسلة اجراءات ذات طابع بروليتاري كانت بالتحديد تصب في مصلحة الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة . واثناء شهرين وعشرة ايام ، هي عمر الكومونة ، وضعت هذه الاجراءات موضع التنفيذ . وكان يمكن ان تقوم الكومونة باتخاذ اجراءات اكثر شمولا وجذرية ، الا ان الوقت تدارك الثوار المحاصرين ، كما يقول ماركس ، اذ كان عليهم اولا ان ينظموا الدفاع عن الكومونة ضد المحتلين الاجانب والبرجوازية الفرنسية في آن واحد . وفي وسط غياب تصور واضح لدى الحركة العمالية الفرنسية ، وعدم وجود احزاب

---

* ماركس - انجلز - لينين - كومونة باريس - ص - ٢٢٦ - .

اشتراكية علمية ، فان الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قد ولدت من التعاليم الاشتراكية ما قبل الماركسية ، ومن الاندفاعة الثورية العفوية البطولية لجماهير العمال .

كان الغاء العمل الليلي لعمال الافران اول اجراء اتخذته الكومونة . وذلك بعد يومين من قيامها . وفي نفس القرار الذي اتخذ لتنظيم العمل ، جرى الغاء حق استيفاء الغرامات والحسومات التي كان ارباب العمل يفرضونها على العمال زيادة في استغلالهم . اما الغرامات التي فرضت اعتبارا من ١٨ آذار فقد قررت الكومونة اعادتها للعمال . ووضع القانون عقوبات بحق ارباب العمل المخالفين . وبعد اغلاق عدد كبير من المصانع اثر هرب اصحابها مع الحكومة البرجوازية ، اصدرت الكومونة قراراً بالاستيلاء عليها والفت لجنة لدراسة كيفية انتقال هذه المصانع الى ايدي التعاونيات العمالية ، ودفع تعويضات للرأسماليين الذين هربوا . وقررت الكومونة منح تعويضات للعمال وعوائلهم مع عدم التفريق بين النساء غير الشرعيات والارامل . ولم يتوفر الوقت للكومونة من اجل تنظيم التعليم الرسمي . لكنها اخذت المبادرة لتحرير الشعب من سطوة الكهنوت ففصلت بين التعليم الرسمي وسلطة الكنيسة وعينت هيئة لتنظيم التعليم الابتدائي والمهني . وامرت بان تعطي كل حاجات التعليم من كتب ولوازم مجاناً من قبل المدرسين الذين يستلمونها من رؤ ساء البلديات المحليين . وكان العمال نتيجة لفقرهم ، قد اعتادوا قبل الكومونة رهن ممتلكاتهم الشخصية في مؤ سسة برجوازية اسمها «بنك الاسعاف» فقررت الكومونة اعادة كافة المودعات لدى هذا البنك لابناء الشعب دون مقابل .

واتخذت الكومونة قرارا بارجاء كلي لدفع الايجارات المستحقة لمدة ثلاثة اشهر من تاريخ قيام الكومونة ، وكل من دفع هذه المبالغ ، له الحق في اقتطاعها من الدفعات اللاحقة . وطبق القانون نفسه في حالات التأجير المفروش . واوقفت كل ملاحقة قانونية لدفع سندات التجارة ، اذ قررت الكومونة تقسيط دفع السندات خلال سنتين دون ان تكون لهذه الديون اية فوائد . ومن اهم القرارات التي اتخذت ، كان الاجراء بمساواة اجور ورواتب الموظفين وضباط الجيش باجور العمال . وفي اول

واهم خطوة لتدبير آلة الدولة القديمة ، قررت الكومونة الغاء التجنيد الاجباري . وجاء في القرار الخاص بذلك : يجب ان يجند كل رجل صالح في الحرب الحالية . وقال القرار ان هذا الاجراء يستهدف التخلص من جميع الخونة ومن كل الجبناء من افراد الجيش القديم الذين كانوا يختبئون في باريس . والغت الكومونة لعب اليانصيب . واتخذت قرارا بازالة ميزانية العبادة واعلنت ان كل ممتلكات رجال الاكليروس هي ممتلكات وطنية .

واكتشفت الكومونة ان حكومة «الدفاع الوطني» قد اوصت على مقصلة جديدة اخف واسرع من القديمة . فامرت ان تحرق المقصلتان القديمة والجديدة في احتفال علني .

واطلقت الكومونة سراح جميع السجناء السياسيين الذي اعتقلوا خلال حكم لويس بونابرت وخليفته حكومة «الدفاع الوطني» دون تهمة او تقديم للمحاكمة . اما حكومة «فرساي» فقد اطلقت بالمقابل سراح كافة المجرمين شرط أن ينخرطوا في جيشها . واصدرت الكومونة قرار يحق بموجبه للاجانب من غير الفرنسيين المساهمة في السلطات التشريعية والتنفيذية للكومونة . لان علم الكومونة هو «علم الجمهوريه العالمية العالمية» . وقد انتخب فرانكل (العضو الالماني للاممية الاولى) عضوا في السلطة التنفيذية للكومونة .

واصدرت الكومونة جريدة رسمية كانت تنشر بانتظام وقائع جلسات الكومونة .

وهدمت حكومة الكومونة (عامود ساحة الفاندوم) رمز القوة الغاشمة كما هدمت النصب المسمى (الكنيسة الكفارة للويس السادس عشر) . واتخذت الكومونة قرارا حول الاخذ بالثأر . فقد قامت حكومة «فرساي» باعتقال الاف الكومونيين وتعريضهم للموت الجماعي اعداما بالرصاص . ومقابل ذلك اعتقلت الكومونة عددا من رجال الكنيسة واتباع حكومة (فرساي) من البرجوازيين وهددت بان كل كوموني يقتل سوف يقتل واحد من اتباع حكومة تيير . الا ان الكومونة لم تنفذ هذا القرار لاسباب انسانية ، رغم ان حكومة (فرساي) لم توقف عمليات الاعدام سوى فترة قصيرة . وعمليا لم تعدم الكومونة اية رهينة او اي سجين كما لم تعدم حتى جواسيس حكومة (فرساي) الذين كانوا يتسللون الى باريس متنكرين ويجري

اعتقالهم .

يقـول ماركس ان الكـومـونة لم تبدأ في ١٨ آذار ١٨٧١ ، بل بدأت في ٢٨ كانون الثـاني يوم وقعت حكـومـة (تيير) على صك الاستسلام امام جحافل الالمان . ففي فرساي كلها وفي المدن الرئيسية اصبحت كلمة السر لدى كل الثوريين : «الكومونة» .

اعلنت الكـومـونـة في (اليونان) وفي «مرسيليا» وبعدها في «تولوز» وغيرها ، لكن سلطـة الـبر وليتـاريـا في هذه المـدن جرى قمعها بسرعة ، على عكس ما حدث في باريس ، اذ جرى في المدن الاخرى القضاء على الكومونات دون معارك كبيرة وفي فترة زمنيـة قصـيرة . ولهـذا اعتـبر التاريخ الرسمي للكومونة ١٨ آذار ١٨٧١ حيث نجـح عمال باريس في تحقيق اولى انتصـاراتهم على قوات حكـومة (فرساي) واعلنوا رسميا قيام سلطتهم .

دروس الكومونة

قدمت كومونة باريس دروسا ثمينة لحركة الطبقة العاملة ، واغنت الاتجاه الثوري العلمي المـاركسي في اواخـر القـرن التـاسـع عشـر . وكانت من النتائج الاكثر اهمية على صعيـد الحـركـة العمالية ، فقدت نصيبها في الحياة بعد الكومونة ، اذ جاء فشل الكـــومـــونـة يمعنى من المعـاني ، ليقـول ان هزيمـة ابطـال باريس ، هي هزيمـة لاشـتراكيـة برودون وبـلانكي وكـل المـدارس الـلاعلميـة في الاشتراكية . الاتجاه الثوري الماركسي هو الوحيد الذي ادخل خبرة الكومونة في صلب تعاليمه الثورية . ففي الـوقت الـذي كان ممثلو المـدارس غير الثـوريـة ، يندبون افكارهم فقد عكف ماركس وانجلز ومن بعدهما لينين ، على تحليل كافة دروس الكومونة وادخال ما جاء يستخلص من التجربة الاولى للبر وليتاريا في صلب الاشتراكية العلمية .

بدأت الثـورة العـمالية في باريس ، في وضع اصيل الازدواج في السـلطة . اذ كان على البر وليتاريا ، ان تأخذ على عاتقها مهمتين : الاولى وطنية عامة هي مواجهة

بجيوش المحتلين البروسيين . والثانية طبقية هي تحرير العمال من الرأسمالية تحريرا اشتراكيا .

وفي حل العلاقة بين المهمتين وقعت الكومونة باول افدح اخطاءها . اذ سمحت بوجود حكومة «الدفاع الوطني» وهي حكومة خيانة الشعب وليس الدفاع عن الاستقلال الوطني . وفي الوقت الذي كان يجب فيه تحميل البرجوازية الفرنسية تبعات خياناتها وترهلها في التصدي للعدوان الخارجي ، والانتباه اكثر الى حل المهمة الاكثر الحاحا ، اي حسم مسألة استلام السلطة السياسية وقمع مقاومة البرجوازية ، فان الكومونيين انساقوا وراء افكار خاطئة عن «الاستقلال الوطني» فكانوا لا يجدون انسب من الصرخة البرجوازية ذاتها : «الوطن في خطر !» وقد ثبت سريعا ، ان البرجوازية الفرنسية قد باعت الوطن للمحتل الاجنبي ، وكان هدفها الاول التفرغ للقضاء على عدوها الرئيسي : الكومونة وهذا ما حدث بالفعل . اذ قامت مدفعية البرجوازية الفرنسية بدك باريس على مرأى ومسمع من القوات الالمانية التي كانت تحاصر باريس .

[ما اشبه اليوم بالبارحة ! اذ قامت قوات حزب الكتائب بدك بيروت الغربية بالمدفعية الى جانب الغزاة الصهاينة الذين حاصروا بيروت صيف ١٩٨٢ !]

وكان اكبر الاخطاء عدم مبادرة الكومونة الى سحق حكومة (فرساي) في الوقت الذي كانت جيوشها مبعثرة واوضاعها السياسية مرتبكة . ورغم ان البروليتاريا الباريسية كانت منقسمة الى شيع كما سبق واسلفنا ، فان الكومونة قدمت مثالا باهرا على كيفية حل المهام الديمقراطية العامة في الثورة . فبدون جهاز بيروقراطي ، وبكل بساطة ، خلال فترة قصيرة من الزمن ، وضعت الكومونة وحلت كل المهام الديمقراطية التي كانت تتشدق بها البرجوازية دون تطبيق . الغت الكومونة البيروقراطية وطبقت مبدأ انتخاب الموظفين السياسيين من قبل الشعب مباشرة ، مع حق عزل النائب الشعبي من قبل ناخبيه فورا ان لم يقم بالواجبات التي انتخب من اجل ادائها .

ومن اثمن دروس الكومونة ، ذلك الدرس المتعلق بالموقف من آلة الدولة البرجوازية . وهي القضية الجوهرية التي ادخل ماركس وانجلز تعديلهما على

«البيان الشيوعي» بتأثير الكومونة .

جاء في المقدمة الرابعة للبيان الشيوعي : «وبوجه خاص برهنت الكومونة ان الطبقة العاملة لا تستطيع ان تكتفي بالاستيلاء على آلة الدولة جاهزة وان تحركها لاهدافها الخاصة»*

وقد تلخصت فكرة ماركس في ان واجب البر وليتاريا هو تحطيم آلة الدولة الجاهزة وكسرها ، لا الاكتفاء بمجرد الاستيلاء عليها . كتب ماركس في ٢١ نيسان ١٨٧١ رسالة الى كوغلمان ، اي قبل هزيمة الكومونة ، قال فيها : «اذا ما القيت نظرة الى الفصل الاخير من كتابي (١٨ برومير) رأيت اني اعلنت ان المحاولة التالية للثورة الفرنسية يجب ان تكون لا نقل الالة البير وقراطية العسكرية من يد الى اخرى كما كان يحدث حتى الان ، بل تحطيمها . هذا هو الشرط الاول لاية ثورة شعبية حقاً .»** الذي حصل ان الكومونة توقفت في منتصف الطريق . اذ استولى العمال على آلة الدولة وارادوا تسخيرها لمصلحتهم ، في الوقت الذي كان يجب ان يجري تدمير هذه الالة نهائيا واقامة دولة من نمط جديد ، يقول عنها انجلز انها لا تشبه الدولة بالمفهوم السائد الا قليلاً ، اي دولة ديكتاتورية البر وليتاريا ، ذلك لانها جهاز يمثل اكثرية الشعب التي تقوم بقمع بضعة الاف من كبار البرجوازيين والملاكين العقاريين .

لقد اجاب ماركس عن سؤ ال بم يجب ان يستعاض عن آلة الدولة البرجوازية بعد تحطيمها ، بالاستناد الى خبرة الكومونة وقبل هذا ، اي في عام ١٨٤٧ أجاب (البيان الشيوعي) عن هذا السؤ ال ، اجابة عامة ، اشارت الى المهام لا الى طرق حلها بقوله [البيان الشيوعي] يجب الاستعاضة عن سلطة الدولة البرجوازية «بتنظيم البر وليتاريا في طبقة سائدة» وفي مؤلفه «الحرب الاهلية في فرنسا» اجاب ماركس عن هذا السؤ ال ، الاجابة العلمية التي اصبحت حية في ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ .

---

* ماركس ـ انجلز : المختارات في عشرة مجلدات ، المجلد الاول ، ص ـ ٤٢ ـ .

** ماركس ـ انجلز ـ لينين : كومونة باريس ـ ص ـ ٢٤٠ ـ .

كانت الكومونة ، كما يقول ماركس ، النقيض المباشر للامبراطورية ، فقد كانت «شكلا معيناً لجمهورية ينبغي لها ان تزيل لا الشكل الملكي للحكم الطبقي فحسب ، بل ايضا الحكم الطبقي ذاته»*

ان ما عجزت البروليتاريا الباريسية عن ادراكه هو انه بعد ثورتها كان يجب تحطيم آلة الدولة البرجوازية نهائياً واقامة آلة دولة جديدة وهذه الآلة الجديدة نوعياً ، مهمتها قمع البرجوازية . ان احد اهم الاسباب هزيمة الكومونة كونها لم تقم بسحق مقاومة الرجعية بالحزم اللازم .

في تدابير الكومونة بالغاء كل علاوات التمثيل والغاء امتيازات الموظفين وتنقيص جميع رواتبهم الى مستوى اجرة العمال ، وفصل الكنيسة عن الدولة ، قد تجلت باوضح ما يكون الانعطافة عن الديمقراطية البرجوازية الى الديمقراطية البروليتارية . من ديمقراطية الظالمين الى ديمقراطية الطبقة المظلومة ، من الدولة باعتبارها قوة خاصة بيد طبقة لقمع غالبية الشعب ، الى دولة بيد غالبية الشعب لقمع الاقلية المستغلة . لكن الكومونة لم تصل في هذه القضية الى نهايتها المنطقة . اذ كان رجالها يحلمون بعدالة غير واضحة المعالم تشوبها «النزعة الانسانية» التي هي من مخلفات الحقبات الاولى لنهوض البرجوازية في اوروبا . وهذا ما يفسر ان الكومونة لم تستول على مصدر كل قوة البرجوازية ، اي ملكيتها الخاصة لوسائل الانتاج . وبلغ الامر حد ان الكومونة لم تستول على (بنك باريس) هذا الامر الذي كان سيوفر للعمال مركز قوة اكثر من عشرات الكتائب المسلحة ، كما يقول ماركس . رغم هذه النواقص التي رافقت سير الكومونة ، فانها كانت الكشل الجنيني لدولة ديكتاتورية البروليتاريا . فاضافة الى الغاء الجيش والشرطة قامت الكومونة بالغاء البرلمانية وجمعت السلطتين التشريعية والتنفيذية في هيئة عاملة واحدة تستمد سلطتها من الشعب مباشرة .

فقد استعاضت الكومونة عن برلمانية المجتمع البرجوازي المرتشية والمتعفنة بمؤسسات لا تنحط فيها حرية الرأي الى مجرد خداع ، ورد في موجز تنظيم وحدة الامة ، الذي اصدرته الكومونة ، ولم يتسن الوقت لتنفيذه ، ان الكومونة يجب ان

* المصدر السابق ـ ص ـ ١٩٢ ـ

تكون الشكل السياسي للحكم حتى لاصغر قرية . اي انه يجب ان تنزع الوظائف السياسية لاجهزة الدولة البرجوازية وتناط مهماتها الى الكومونات المنتخبة في كل قرية ومدينة بالطريق المباشر من قبل الشعب ، وهي تكون خاضعة امامه مباشرة . ولاول مرة في التاريخ جرى تمزيق قناع السحر البرجوازي الزائف المحيط بالبرلمانيين البرجوازيين الذين كانت مهمتهم وما تزال تنحصر في الاجتماع مرة بين فترة واخرى لتقرير ماهي الطرق الفضلى لاستغلال واضطهاد غالبية الشعب ، وفق القانون ، وبصورة «شرعية» !

الكومونة وثورة اكتوبر الاشتراكية

دخلت دروس كومونة باريس في صلب النضال الفكري والسياسي الذي خاضه حزب البلاشفة ضد التيارات الانتهازية والفوضوية في الحركة العمالية الروسية .

وفي المنعطفات الكبرى ، ابان ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ في روسيا وخلال الفترة من ثورة شباط ١٩١٧ البرجوازية حتى قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية في اكتوبر من نفس العام ، دار صراع ضار بين التيار الماركسي الثوري بقيادة لينين (البلاشفة) وبين المناشفة والفوضويين من امثال مارتوف وكاوتسكي وبليخانوف وصولاً الى برنشتين وبرودون وبقية ممثلي الانتهازية في الحركة العمالية في اوروبا باجمعها .

وقد امعن الانتهازيون في تحريف وتشويه دراسة ماركس لخبرة الكومونة ، في كل النقاط الجوهرية . فيما يتعلق بموقف البروليتاريا من آلة الدولة البرجوازية ، وهل يجب نقلها كما هي لاستخدامها من قبل البروليتاريا الظافرة ام يجب تحطيمها واستبدالها بنمط جديد للدولة ، كانت دولة الكومونة هي شكلها الجنيني . وما هو الموقف من المؤسسات الديمقراطية الرجوازية ، وما هي الفوارق الجذرية بينها وبين نمط الديمقراطية البروليتارية ، وما هو الجوهري في الخبرة التي وفرتها الكومونة ازاء هذه القضية . وفي مسألة بماذا يختلف البلاشفة عن الفوضويين في نظرتهم كقضية الدولة ، وكذلك في فهم وتحديد الطابع الاصيل لازدواج السلطة في الثورة الروسيةومقدار تشابهها في ازدواج السلطة في الكومونة .

انطلق في نضـالـه ضد التيـارات الانتهـازيـة من دراسة كومونة باريس دراسة علمية واقعيـة ، والتأكيـد ان تجربـة الكومونة رغم كل محاسنها الكبر ى ، فانها جلبت معها قضايا يتعذر معها القول ان على الثوريين الروس ان يطبقوا ما حدث في الكومونة بشكـل اعمى . وكـان لينـين في الـوقت الـذي يقـدر تمام التقـديـر اهميـة الكـومونة ودروسها ، فانه كان يرى طابعها التاريخي الملموس . نواقصها وثغراتها ، وما الذي يجب التمسـك فيـه من دروسهـا ، وما يجب نبذه نهائيا . الجدل الذي دار في الحركة الثـوريـة الـروسيـة منـذ عام ١٩٠٥ حتى انتصار الثورة في ١٩١٧ ، كان جدلا حيا نظـريا وسياسيا ، قرر مصائر الثورة في روسيا . وانطلق لينين في جداله ، من رؤ ية ان طابع ازدواج السلطة في روسيا ، ابان قيام ثورة شباط البرجوازية ، وقيام مجالس السـوفيتـات التي كانت سلطـة اخـرى الى جانب الحكومة البرجوازية ، هو ازدواج اصيل ، كما هي اصالة ازدواج السلطة التي نشأت اثر ثورة الكومونة . يقول لينين : «ان العهد الذي سبق الثورة الروسية واعدها يشبه بعض الشبه عهد النير النابولياني في فرنسـا . ففي روسيـا ايضا ، قادت الزمرة الاتوقراطية البلاذ الى ويلات الخراب الاقتصادي والهوان القومي . لكن الثورة ظلت زمناً لا تستطيع الى الانفجار سبيلاً لان التطور الاجتماعي لم يكن قد اوجد الظروف لاجل الحركة الجماهير ية» . *

ربـط لينـين ربطـا وثيقـا بين تجربة الكومونة وطابع الحركة الجماهير ية العمالية التي رافقت الكـومـونـة ، وحدد ما نشأ في الحركة العمالية الروسية اثناء ثورة اكتوبر . فقد ادرك العـمال الـروس بغريزتهم الطبقيـة الطريق الصائب : «اذ انخرطوا في الطريق الـذي دلت عليـه تجربـة ثورتنـا في العام ١٩٠٥ وكومونة باريس في عام ١٨٧١» ** في الـرسـالـة الثـالثـة للينين في مؤ لفه (رسائل من بعيد) قال نحن بحاجة الى الدولة ، لكننا لسنا بحاجة الى دولة على النمط البرجوازي من الملكيات الدستورية وانتهاء بالجمهـوريـات الاوفـر ديمقـراطيـة . نحن بحـاجـة الى دولة بروليتارية تقوم على انقـاض الـة الـدولـة الـبرجـوازيـة : «وفي هذا يكمن الفرق بيننا وبين الانتهازيين والكـاوتسكيـين في الاحزاب الاشتر اكية القديمة التي اخذت تتعفن والتي شوهت او

---

* لينين : دروس الكومونة . حول كومونة باريس ـ دار التقدم موسكو ١٩٧٨ ص ـ ٢٢ ـ

** لينين : رسائل من بعيد . المختارات المجلد ـ ٦ ـ ص ـ ٢٩٧ ـ

نسيت دروس كومونة باريس وتحليل ماركس وانجلز لهذه الدروس»*

وبصدد ازدواج السلطة في الثورة الروسية ، قال لينين ان الازدواج يعني انه الى جانب الحكومة المؤقتة البرجوازية ، قد تألفت حكومة اخرى ما تزال ضعيفة ، وهي سوفيتات نواب العمال والجنود . وهذه السلطة والاخيرة هي «من النوع ذاته الذي كانت منه كومونة باريس»** توفر تجربة الكومونة وضع تاريخي يشبه كثيراً ما حدث بعد ثورة شباط البرجوازية في روسيا عام ١٩١٧ . ففي الكومونة قام شكل من اشكال الدولة البروليتارية في باريس فقط ، اما في (فرساي) وبقية انحاء فرنسا فقد استمرت الدول البرجوازية القديمة . ان مقتل الكومونة ، كما يقول لينين ، قام في كونها لم تهاجم الدولة في (فرساي) في الوقت المناسب وتحطمها . واصالة التجربة الروسية تمثلت في ان جنين الدولة البروليتاريا قد ولد مباشرة في معارك ثورة شباط البرجوازية وشمل روسيا من اقاصاها الى اقصاها . ففي كل مكان من روسيا اقيمت سلطة نواب العمال والفلاحين والجنود الثورية ، وما لم تقم به الكومونة ، قامت به الثورة الروسية ، وحزب البلاشفة ، وهو الهجوم على السلطة الاخرى (الحكومة المؤقتة بزعامة كيرنسكي) وتحطيمها ، اي تحطيم آلة الدولة البرجوازية وبذلك تم القضاء نهائياً على ازدواج السلطة وقامت دولة ديكتاتورية البروليتاريا على انقاضها . وصف لينين الدولة الناشئة بعد ثورة اكتوبر بانها «دولة من طراز كومونة باريس انها تستعيض عن الجيش والبوليس المنفصلين عن الشعب ، بتسليح الشعب نفسه مباشرة وهنا يكمن جوهر الكومونة»***

قامت البروليتاريا الروسية بقمع البرجوازية والاقطاع من خلال اقامتها لدولتها الخاصة ، باعتبارها اداة قمع بيد الشعب ، بيد الاغلبية ضد الاقلية . وفي هذا تجلى باوضح ما يكون الانعطاف من الديمقراطية البرجوازية الى الديمقراطية البروليتارية ، الذي فشلت كومونة باريس في اتمامه ، في حين نجحت ثورة اكتوبر بالسير به الى نهايته الظافرة .

---

* المصدر السابق ص - ٢٩٨ - .

** حول ازدواج السلطة - لينين - حول كومونة باريس - ص - ٣٧ - .

*** لينين : مهمات البروليتاريا في ثورتنا . حول كومونة باريس . مصدر سابق . ص - ٣٩ -

وفرت الكومونة ذخيرة حية لثورة اكتوبر فالكومونة «هي اول محاولة تقوم بها الثورة البروليتارية لتحطيم آلة الدولة البرجوازية»* كانت مواقف الانتهازيين الروس، تتراوح بين تشويه خبرة كومونة باريس، وبين تجاهلها التام. يقول لينين انه يمكن القول بشكل عام ان تشويه الماركسية وابتذالها من قبل الانتهازيين الروس قد نشأ من مسألة موقف الثورة من الدولة. اما الفوضويين فحاولوا ان «يعلنوا ان كومونة باريس ذاتها «كومونتهم» ان امكن القول، اي انها تثبت تعاليمهم، ولكنهم لم يفهموا البتة دروس الكومونة ولا تحليل ماركس لهذه الدروس. لم تعط الفوضوية اي شيء يشبه الحقيقة ولو شبهاً تقريبياً. حول السؤالين الاساسيين الملموسين: أينبغي تحطيم آلة الدولة القديمة ؟ وباي شيء تنبغي الاستعاضة عنها ؟»** واكد لينين ان طراز الدولة الذي اقامته ثورة اكتوبر الاشتراكية هي ذات طراز جهاز الدولة الذي اقامته الكومونة «هذه الالة الجديدة للدولة انما انشأتها كومونة باريس، وها ان سوفيتات نواب العمال والجنود والفلاحين في روسيا هي «جهاز دولة» من الطراز نفسه» ***

وفي مكان آخر يقول لينين في تقريره عن نشاط مجلس مفوضي الشعب امام المؤتمر الثالث للسوفيتات في عامة روسيا في ٢٤ كانون الثاني ١٩١٨ «بعد صمود شهرين و١٠ ايام استشهد العمال الباريسيون الذين كانوا اول من انشاؤا الكومونة التي تمثل اصل السلطة السوفياتية»**** في الوقت الذي كان انتهازيون يصرخون ويعلنون مخاوفهم على «الديمقراطية» في ظل سلطة السوفيتات ويزعمون ان الاخيرة من شأنها ان تضيع كل اثر للديمقراطية، وذلك بعد انتقالهم العلني الى خيانة الثورة، كان لينين يجيب عليهم بالاستناد الى تجربة الكومونة: «ان قضية

---

* لينين: الدولة والثورة. المختارات المجلد - ٧ - ص - ٧٣ - .

** لينين: الدولة والثورة - المختارات - مجلد ٧ - ص - ١٢٩ - التشديد للينين.

*** لينين: هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة - حول كومونة باريس مصدر سابق ص - ٩٧ - .

**** لينين: المصدر السباق ص - ٩٩ - .

ديكتاتورية البروليتاريا هي قضية موقف البروليتاريا من الدولة البرجوازية . قضية موقف الديمقراطية البروليتارية من الديمقراطية البرجوازية»*

وضع ماركس وانجلز ومن بعدهما لينين في صلب النظرية الاشتراكية العلمية ، الدروس الثمينة ذات الاهمية الاممية للكومونة ، في اية ثورة على الاطلاق . فقال لينين في تقريره امام المؤتمر الاول للاممية الشيوعية في ٤ آذار ١٩١٩ «ان التنظيم السوفيتي للدولة هو وحده الذي يستطيع فعلاً ان يحطم بضربة واحدة ويسحق نهائيا الجهاز القديم ، اي البرجوازية ، الدواويني والقضائي ، الذي بقي وكان لا بد له حتماً ان يبقى في ظل النظام الرأسمالي ، حتى في اكثر الجمهوريات الديمقراطية ، والذي كان في الواقع اكبر عقبة امام تحقيق الديمقراطية للعمال واشغيلة . وفي هذا السبيل خطت كومونة باريس الخطوة الاولى ذات الاهمية التاريخيةي العالمية وخطت سلطة السوفييت الخطوة الثانية» **

الكومونة وتجارب بناء الاشتراكية

بنيت تجربة بناء الاشتراكية ، في البلدان الرأسمالية المتطورة ، او في بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ان الطريق الذي اختطته كومونة باريس ، فيما بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، بصدد تحطيم آلة الدولة البرجوازية والاقطاعية ، واقامة دولة ديكتاتورية الطبقة العاملة ، هو الطريق الوحيد الصائب ، ليس فقط لانتصار الثورة وظفرها النهائي ، وانما ايضاً من اجل توفير اوسع ديمقراطية حقيقية . ديمقراطية شعبية حقا ، توفر للملايين من الناس حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتستثير وتوفر كل امكانات مساهمتهم النشيطة في البناء وفي رسم السياسة ، بشكل

---

* لينين : المصدر الصابق ص - ١٠٦ - .

* * لينين : المصدر السابق ص - ١١٩ - .

يفوق ويختلف نوعيا ، عن كل اشكال الديمقراطية التي عرفتها التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية القديمة .

وبالطبع ، عند دراسة ، كل ثورة من الثورات الاشتراكية ، سوف نجد تلك الاصالة النابعة من الظروف الملموسة المحيطة بالبلد المعني . فالثورة الاشتراكية في عصرنا الراهن تنشب في بلدان مختلفة من حيث مستوى التطور ، ومن حيث مقدار مساهمة ووزن كل طبقة وفئة اجتماعية ، وظروف محددة لاصطفاف القوى السياسية ، وصيغ متكونة تاريخيا لاشكال محددة من الادارة ، وهذا المقدار او ذاك من التدخل الامبريالي الذي يهدف الى اعاقة الثورة . الخ كما سنجد في حال دراسة كل ثورة على حدة اختلافات عديدة في التفاصيل فيما يتعلق باشكال تنظيم اداره الدولة الاشتراكية ، والمراحل التي لا بد من قطعها لارساء اسس دولة اشتراكية ، الا انه من المستحيل ان نجد خلافات جوهرية في القضية الاساسية : اي مسالة بناء دولة من طراز جديد ، دولة تعبر عن مصالح العمال والفلاحين والجماهير الشعبية ، وفي اداة قمع بيد الاغلبية ضد الاقلية المستغلة ، وهي في نفس الوقت اداة لتنظيم جهود وادارة نشاط الجماهير في البناء وفي الدفاع عن الاستقلال الوطني وحماية الاشتراكية ومكاسب الجماهير الشعبية . في تجارب بلدان «العالم الثالث» توجد تلك الاصالة المميزة لعملية بناء الدولة الثورية ، وتحطيم الة الدولة ، الاتوقراطية ، او الاقطاعية ، او البرجوازية ، التابعة حتما وباستمرار للهيمنة الامبريالية .

في الماضي القريب ، مثلا ، كان عمال وفلاحو الفيتنام ، يخوضون نضالا ضاريا للقضاء على نمط خاص من انماط ازدواج السلطة في بلادهم . حيث كانت تقوم دولة برجوازية رجعية تابعة للامبريالية في جنوب البلاد ، ودولة للعمال والفلاحين ، ديمقراطية شعبية ، في الشمال . وفي الجنوب ذاته كان الثوار ـ الفيتكونغ ـ قد اقاموا شكلا من اشكال «جهاز الدولة» الثوري للعمال والفلاحين والشغيلة التي تخوض النضال ضد آلة الدولة في ـ سايغون ـ المدعومة بوجود اكثر من نصف مليون جندي امريكي . وادى الانتصار الذي احرزه الثوار الى الغاء هذا الازدواج في السلطة ، اولاً في الجنوب ، حيث تم تحطيم آلة الدولة البرجوازية عام ١٩٧٥ وخلال فترة قصيرة استمر نوع مختلف من ازدواج السلطة ، يختلف نوعيا عن الازدواج فيها قبل

التحـريـر ، ذلك هو وجود التي دولة متماثلتين الى حدود كبيرة في الشمال والجنوب ، جرى توحيـدهما في دولـة واحـدة ، واقـامـة دولـة عمالية فلاحية ، تمارس ديمقراطية شعبيـة لصـالـح الجماهـير الفقـيرة من الكـادحين ، وتقوم بمهمة الدفاع عن ابناء الاشتراكية السلمي ضد اشكال العدوان الامبريالية .

ويمكن القول ، انه في كل التجارب ، التي حققت فيها الثورة انتصار جزئي ، واستطاعت حماية هذا الانتصار «بآلة دولة» معينة ، ينشأ ذلك الازدواج في السلطة ففي المناطق المحررة من السلفادور مثلاً والتي تسيطر عليها القوات الثورية تنمو اجنة دولـة من نمـط جديـد ، تقابلها في نفس الوقت دولة برجوازية رجعية ارهابية الطابع تسـود في المنـاطق غير المحـررة . وسوف يوفر انتصار الثوار الغاء ازدواج السلطة هذا حتـماً ويقيم دولـة من نمط جديد . وقد يثار هنا اعتراض تسمية اشكال الادارة التي تظهـر في منـاطق محدودة من البـلاد خاضعة لسيطرة الثوار ، باسم «آلة الدولة» ومثل هذا الاعـتراض سوف يجد حجتـه في غيـاب الـدواوينة في «آلة الدولة» الثورية ، في مراحلها الاولى ، لكن مثل هذا الاعتراض ليس له نصيب من الصحة ، اذا فهمنا ان الـدولـة ، هي من حيث الجـوهـر آلـة قمـع بيد الاغلبية او الاقلية . فآلة الدولة الثورية هي الاخرى آلة قمع للرجعية ، وهي في حالة مثل حالة السلفادور ، تنشيء اشكـالاً محددة في الادارة : القضـاء ، السجـون ، قمـع مقـاومة الرجعية ، تنظيم الشؤون الاجتـماعيـة والاقتصـاديـة في منـاطق سيطـرتها . . الخ ولهذا فهي آلة دولة بالتعريف الماركسي ـ اللينيني .

* * *

الاممية الثانية

١٨٨٩ - ١٩١٤

تشكلت الاممية الثانية - الاتحاد العالمي للاحزاب الاشتراكية - في حقبة انتقالية -، كانت الرأسمالية فيها تمر بتطور هادىء نسبياً وتنتقل من مرحلة الرأسمالية التنافسية الى الاحتكار وظهور الامبريالية اعلى وآخر مراحل الرأسمالية . وخلال هذه الحقبة كانت الافكار الماركسية تنتشر داخل الحركة العمالية انتشاراً أفقياً شمل تقريباً كافة الاحزاب الاشتراكية التي وجدت في اوروبا الغربية وروسيا القيصرية والولايات المتحدة الاميركية . ولم يكن انتشار الماركسية في صفوف الاحزاب العمالية عملية متناسقة ، وتخلو من التشويهات والتحريف والاختلاط ، وبالاحرى ساد لفترة طويلة بعد وفاة انجلز بالتحديد ميل عام في الاحزاب الاشتراكية للتنكر للارث الماركسي الثوري الحقيقي وتقديم تفسيرات انتهازية له . وكانت تلك ايضاً عملية تاريخية تحول فيها اكثر دعاة الماركسية حماساً في فترة سابقة ، امثال كاوتسكي ، الى خونة علنيين للماركسية .

وظهرت الاممية الثانية في وضع نهوض عمالي تمثل في اضرابات عمالية شملت روسيا وفرنسا وانجلترا . وفي نفس الوقت كانت تتشكل احزاب عمالية في بلدان عديدة : الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني عام ١٨٧٥ ، الحزب الاشتراكي العمالي الامريكي عام ١٨٧٧ ، وفي روسيا كانت عدة منظمات اشتراكية - ديمقراطية قد تأسست ، وفي فرنسا حزب العمال الفرنسي ١٨٧٩ في النمسا الحزب الاشتراكي - الديمقراطي النمساوي ١٨٨٨ .

وكان كل ذلك نتاج تمركز قوى البروليتاريا واتساعها وزيادة وعيها السياسي .

وكان الوضع في الحركة العمالية قد طرح مجددا قضية اعادة بناء الاممية كمنظمة عالمية للبر وليتاريا .

انبرى ممثلو التيارات الاكثر الانتهازية في الحركة العمالية ، خاصة حزب العمال الفرنسي ، وممثلو الاتحاد الاشتراكي ـ الديمقراطي في انكلترا في التصدي لمهمة انشاء الاتحاد العالمي للاحزاب العالمية والاستيلاء على قيادته . ومن ناحيته كان انجلز الذي رافق بناء الاممية الاولى وساهم في النضال داخلها ، يدرك وقادة ثوريون اخرون ، خطر تأسيس اممية صفراء . فجرت اتصالات مع الماركسيين الفرنسيين والالمان وغيرهم من اجل اقامة الاممية . نجحت مساعي التيار الماركسي في عقد اول اجتماع للاحزاب العمالية في ١٤ تموز ١٨٨٩ فرنسا انبثقت عنه الاممية الثانية . وكان ممثلو التيار الانتهازي الفرنسي قد عقدوا هم ايضاً مؤتمراً في نفس الوقت ، الا ان مؤتمر هؤلاء مني بالفشل ، في حين سار نشاط التيار الماركسي الثوري في طريق الاتساع والتبلور . ومنذ المؤتمر الاول للاممية الثانية ظهر ذلك الانقسام الذي ساد فترة طويلة داخل الاممية الاولى واستغرق عملياً تاريخ الاممية الثانية ايضاً ، ونعني به الصراع بين التيار الماركسي الثوري ، والتياران الانتهازي والفوضوي .

وكان القاسم المشترك بين الفوضويين والانتهازيين داخل المؤتمر دعوتهم لنبذ النضال السياسي . لكن المؤتمر اتخذ ، تحت قيادة انجلز الفكرية ، جملة قرارات بصدد تعزيز الحركة الجماهيرية للعمال وتشكيل اضراب سياسية تخوض النضال من الهدف الاسمي وهو استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية ، واوضح المؤتمر ان الهدف النهائي لنضال العمال هو بناء الاشتراكية . وفي هذا المؤتمر اتخذ الاول مرة القرار التاريخي باعتبار الاول من أيار في كل عام عيداً عالمياً للبروليتاريا .

لم تدم طويلاً فترة الهدوء في تطور الرأسمالية ، اذ سرعان ماظهر الاحتقان الشديد في بنية الرأسمالية في المساعي المحمومة من اجل الاعداد للحروب . ولهذا فقد واجهت قضية الموقف من الاعداد البرجوازي للحرب ، المؤتمر الثاني للاممية الذي عقد في بروكسل عام ١٨٩١ ، باعتبارها اكثر القضايا الحاحاً .

واتخذت في هذا المؤتمر قرارات ضد الفوضويين وضد التحضير للحرب ، و القرار بصدد التحضير للحرب ، دعت الاممية الطبقة العاملة الى الاحتجاج على

ذلك ، الا انها لم تقدم اي صيغة ملموسة حول تكتيك البر وليتاريا بصدد هذه القضية .

عقد المؤتمر الثالث في زوريخ عام ١٨٩٣ ، وشجب المؤتمر بصراحة تكتيك الفوضويين واقر ان الاحزاب العمالية التي تقر النضال السياسي هي التي بامكانها الدخول الى الاممية دون غيرها .

وكان انجلز قد قدم مداخلة هامة في هذا المؤتمر حول دور الفوضوية في تشويش وعي الشغيلة والتأثير السلبي على وعيها . واستمرت في هذا المؤتمر ايضاً مناقشة قضية التحضير للحرب . وكان اهم قرار اتخذ بصدد هذه المسألة ، هو دعوة الاحزاب العمالية الى التصويت ضد الاعتمادات الحربية في برلمانات بلدانها . الا انه ظهر ايضاً ميل لتضخيم النضال البرلماني ، هذه الميل الذي اصبح آفة تعرقل نضال البر وليتاريا فيما بعد .

وفي نضاله داخل الاممية الثانية ، استطاع انجلز ، ان يجعل كراس ماركس « نقد برنامج غوتا » وثيقة من وثائق الاممية وقدم نقداً ماركسياً ثوريا لبرنامج ارفوت للحزب الاشتراكي - الديمقراطي الالماني ، وخاض الصراع ضد كل الاتجاهات الانتهازية الا ان نشاط انجلز ورفاقه الثوريين ، بالمقدار الذي اثر بهذه الدرجة او تلك على وجهات نظر احزاب الاممية الثانية على قواعد ماركسية ثورية حقيقية .

توفي انجلز عام ١٨٩٥ ، وعقد مؤتمر للاممية في لندن عام ١٨٩٦ ظهر فيه شكل واضح هيمنه التيار الانتهازي الاصلاحي في الاممية . فقد اتخذ مؤتمر لندن قراراً بطرد الفوضويين من الاممية ، الا انه استبعد في نفس الوقت مسألة دكتاتورية البر وليتاريا واخذ قراراً عاماً بتأييد حق تقرير المصير لكنه لم يتخذ اي تدبير عملي للنضال ضد السياسة الاستعمارية . وبصدد المسألة الزراعية رفض المؤتمر بعد بحثها فكرة تحالف العمال والفلاحين .

استكملت الرأسمالية تحولها في التنافس الى الامبريالية ، والفتوح الاستعمارية مع بداية القرن العشرين ، وقد وضعت ذلك احزاب الاممية الثانية امام مهمات جديدة ، لم تستطع النهوض بها . فازاء الصدامات الطبقية المكشوفة بين البر وليتاريا والبرجوازية .

وامام مهمات النضال ضد الاستعمار ، وتربية العمال في النضال السياسي من اجل الاستيلاء على السلطة ، واعداد القوى وحشدها واقامة روابط متينة مع حركات التحرر الوطني ، والاستعداد لتحويل الحروب الامبريالية الى حروب اهلية ، ازاء كل هذه المهمات الثورية وقفت احزاب الاممية الثانية مواقف انتهازية اصلاحية . فانكرت ضرورة تنظيم الهجوم العام ضد الرأسمالية بانكارها لديكتاتورية البروليتاريا ، وبدعوتها وايمانها بان الرأسمالية يمكن ان تتحول من الداخل ، بتأثير اصلاحيات سلمية وبرلمانية ، وقد وضعت سلاح البروليتاريا في يد البرجوازية عملياً ، وادى التعويل على النضال البرلماني ، الى تحويل بعض احزاب الاممية الثانية ، الى مجرد كتل برلمانية ، وتحول جهاز الحزب الى مايشبه جهاز انتخابي . وهذا ماجعل لينين يقول ان احزاب الاممية الثانية لم تكن هيئة ثورية قائدة للبروليتاريا بل « صندوق بريد » !

انتقال مركز الحركة الثورية الى روسيا

في مطلع القرن العشرين انتقل مركز الحركة الثورية من بلدان اوربا الرأسمالية المتطورة ، الى روسيا القيصرية ، الحلقة الاضعف في السلسلة الامبريالية . ولم يكن ذلك نتيجة رغبة لدى الثوريين الروس . فقد اظهر التطور المتفاوت للرأسمالية ، امكانية نمو الحركة الثورية وقدرتها على تحقيق الانتصار ، في اكثر البلدان تخلفاً من الناحية الاقتصادية ، الا انها من ناحية اخرى ، كانت اكثر البلدان التي تطورت فيها الحركة الثورية وترسخ فيها الاتجاه الماركسي الثوري تحت قيادة لينين . ولم يكن كفاح لينين ضد الانتهازية في صفوف حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي مجرد شأن داخلي من شؤون هذا الحزب ، بل كان ايضاً نضال للجناح الثوري في الحركة العمالية الاوربية وضد الانتهازية على النطاق العالمي . فقد كشف لينين لاول مرة في تاريخ الفكر الماركسي بعمق وملموسية الاصول

الفكـريـة والطبقيـة للانتهـازية وعراها حتى جذورها . في كتابة الصادر عام ١٩٠٢ كشف لينين القناع عن النوع الروسي من الانتهازية الاوربية الغربية ، بنقده الحازم والثـوري لبرنشتين وميلران وكـاوتسكي وكـل ممثـلي الانتهازية في الاحزاب العمالية الـذين كانـوا حملة التأثـير الـبرجـوازي الى قلب الطبقة العاملة ، وهـم جميعاً اعداء المـاركسيـة والثـورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا ، الذين يسعون ، كما يقول لينين، الى استبدال حزب الطبقة العاملة الثوري بحزب اصلاحي يسير وراء البرجوازية .

كان النـزاع داخـل الاممية ، قد شهـد نوعا خاصا من التناقض ، وذلك هوسن سيـاسـة انتهازية في كل مفاصلها من قبل احزاب ، يقودها ماركسيون «قدمهموا المبدأ» من النـاحيـة التـاريخيـة امثـال بليخـانوف وكاوتسكي . وبسبب الطبقة البرجوازية الصغيرة ، الميالة للمسـاومة ، في قيادة الاحزاب الديمقراطية ، كان هؤلاء يسالمون الـبرجـوازية في بلدانهم ، وكان قدامى الماركسيون الذين خانوها يسالمون الانتهازية في احـزابهم تحت ذريعـة الحفـاظ على وحدة هذه الاحزاب . وكان هؤلاء مجتمعين يعـارضون النظرية الثورية الماركسية ، والسياسة والنشاط العمليين الثوريين للطبقة العـاملة ، ويـرفضـون رسم تكتيـك ثوري للحـزب ، ويبـالغـون في اطراء اشكال النضال المشروع العلني والبرلماني ، وكان الجميع - كما يقول لينين - يعبدون البلاهة البرلمانية !

ان تحول احـزاب الاممية الثـانيـة ، الى احـزاب انتهـازية اصلاحية ، ادى الى ظهـور انشقـاق عميق في صفـوفهـا ، شمـل كافـة الاحـزاب دون استثناء تقريباً . فظهرت ثلاثة تيارات في الحركة العمالية : تيار ماركسي ثوري ، وتيار وسطي ، وتيار انتهازي . وقد تعمقت هذه التيارات وتباعدت عن بعضها نهائيا في العقد الاول من القرن العشرين وبداية العقد الثاني ، وادت التطورات داخلها ، الى افلاس الاممية الثانية نهائياً عام ١٩١٤ ، عقب اندلاع الحرب الامبريالية الكبرى الاولى . وجاء افلاس الاممية الثـانية مترافقة مع النهوض الثوري في روسيا بقيادة حزب البلاشفة وبـالتأثـيرات المتـزايـدة التي تركتهـا الحزب الامبريالية التي ادت الى خيانة احزاب الاممية الثانية للطبقة العاملة خيانة سافرة .

خاض البلاشفة والماركسيون الثوريون في بلدان اوربا النضال ضد الانتهازية من النواحي الفكرية والسياسية تحت شعارات اساسية تطلب الوضع صياغتها والاجابة عن تحديات الظواهر الجديدة في الصراع الطبقي . واهم محاور الصراع كانت :

١ ـ الموقف من التكتيك الثوري للحزب :

في مرحلة الاصطدامات الطبقية الكبرى ، والمعارك الضارية ضد الرأسمالية ، كانت الاحزاب الانتهازية في الاممية الثانية قد حولت أحزابها الى احزاب اصلاحية ، مهمتها الصراع في اطار المجتمع البرجوازي ، من اجل اجراء اصلاحات جزئية . وكانت هذه الاحزاب تؤمن ببلاهة الديمقراطية البرجوازية وتنعتها «بالديمقراطية» او «بالديمقراطية الخالصة» وتعول على النضال البرلماني السلمي من اجل قلب الرأسمالية . كما تنبذ العنف الثوري وديكتاتورية البروليتاريا .*

وحين كانت تطرح قضية دكتاتورية البروليتاريا في اجتماعات الاممية الثانية التي حضر بعضها البلاشفة ولينين ، وكان ممثول التيارات الانتهازية اما يصمتون او يقولون ان الطريق الى ديكتاتورية البروليتاريا يمر عبر البرلمانات ويروجون الفكرة القائلة بخضوع الرأسمالية بصورة سلمية ، ولم يكن ذلك يعكس الابتذال وضيق الافق ، فحسب ، بل كما يقول لينين في تقريره امام المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية (الكومنترن) : «خداع سافر للعمال وتزيين لوجه العبودية المأجورة الرأسمالية .» **
وكانت احزاب الاممية الثانية تقوم بهذه المهمة خير قيام . وفي احسن الاحوال ، كان ممثلو هذه التيارات يقترحون بطريقة مضحكة الجمع بين الديمقراطية البرجوازية وبين دكتاتورية البروليتاريا ، وبعد نجاح ثورة اكتوبر ظهر ذلك بشكل اكثر وضوحاً

---

* انظر : لينين ـ المختارات مجلد ٨ ص ـ ٥٢٠ ـ

** لينين : المختارات مجلد ١٠ ص ـ ٤٣ ـ

في الانتقادات التي وجهتها احزاب الاممية الثانية للبلاشفة . كتب كاوتسكي في كراس «دكتاتورية البروليتاريا» ان البلاشفة اقترفوا خطأ حين حولوا السوفييتات من «منظمة كفاحية لطبقة واحدة» الى «منظمة للدولة» وبذلك «قضوا على الديمقراطية» ! *

واقترح كاوتسكي على البلاشفة ، اللجوء الى اساليب الديمقراطية البرجوازية ، ولم ير اية ديمقراطية جديدة تنشأ في قلب السوفييتات ، باعتبارها ديمقراطية عمالية . وليست ديمقراطية برجوازية . وبدلاً من دراسة تكتيك حزب البلاشفة في الثورة فان كاوتسكي وغيره من الانتهازيين انهالوا باللوم على البلاشفة واعلنوا وقوفهم الى جانب المناشفة الروس .

ان البروليتاريا تناضل من اجل اسقاط البرجوازية الامبريالية عن طريق الثورة . اما احزاب الاممية الثانية فقد كانت تناضل من اجل «التكيف» مع برجوازية بلدانها ، ومطالبة حكوماتها باصلاحات تافهة ، في بيان مؤتمر (بال) عام ١٩١٢ للاممية الثانية جاء ان الحرب الامبريالية تجعل الثورة البروليتارية تقترب بشكل لامناص منه ، وشخصّ هذا المؤتمر ان الثورة لابد ان تنشب من جراء الحرب الامبريالية . لكن حين نشبت الحرب بين الكتلتين الالمانية والانكليزية ، تنكر الانتهازيون لمقررات مؤتمر بال ، وحين بدأت الثورات فعلاً ، كما حصل في روسيا ، كان الانتهازيون ينعتون المناشفة بالاممية وذلك بسبب ان المناشفة اصروا على الاحتفاظ بالجيش القيصري ، في حين عمل البلاشفة على الاخلال بالجيش وكل النظام القيصري . وكان الاحتفاظ بالجيش بعد ثورة شباط البرجوازية في روسيا ، يعني تمكين البرجوازية من خنق الثورة ، ففي حين كان العمال المسلحون هم نواة الجيش الجديد . وكانت وصية البرجوازية الروسية الاولى القضاء على هذا الجيش ، بقوة الجيش النظامي ، في حين كان الانتهازيون الروس وغيرهم يصرخون بضرورة الحفاظ على الجيش القيصري من اجل «الدفاع عن الوطن» في اطار الحرب الامبريالية الناشبة .

---

* انظر : لينين ـ المختارات مجلد ٨ ص ـ ٢٤ ـ

«اما اول وصية عند كل ثورة مظفرة - فقد كانت تحطيم الجيش القديم وتسريحه والاستعاضة عنه بجيش جديد» . *

كان تكتيك حزب البلاشفة ، والماركسيين الثوريين في المانيا تحت قيادة ليبكنخت وبيبل ، يقوم على ضرورة تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية . حدث هذا في روسيا وانتصرت الثورة ، وفي مرحلة متأخرة وفي ظروف غير مواتيه حصل في المانيا في ثورة عام ١٩١٩ التي استطاعت البرجوازية خنقها بقوة الحديد والنار .

اما الاحزاب الانتهازية الاشتراكية - الديمقراطية ، فكانت تصرخ بضرورة انتظار عقد صلح ديمقراطي عام بين الدول الاستعمارية ، كي يستأنف العمال نضالهم !

٢ - الموقف من الحرب الامبريالية :

ماان نشبت الحرب الامبريالية الاولى ، حتى تعمق الانقسام في الحركة العمالية . وظهر بوضوح وجود تيار اشتراكي - شوفيني واسع داخل احزاب الاممية الثانية ، كان يسير وراء شعار «الدفاع عن الوطن» في الحرب الامبريالية وهؤلاء ، كما يقول لينين ، هم خصوم الطبقة العاملة واعدائها الفعليين وهذا كانحال اغلبية احزاب الاممية الثانية : بليخانوف واتباعه في روسيا ، شيدمان واتباعه في المانية وغيد وسامبا في فرنسا . بيسولاتي وشركاه في ايطاليا . هانيدمان والفابيون «والعماليون» زعماء حزب العمال في انجلترا . والاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في هولندا والدنمارك وامريكا . وقد سار هؤلاء جميعهم وراء برجوازية بلدانهم ودعموها قولا وفعلا تحت شعار «الوطن في خطر !» ويجب الدفاع عنه . وهم في هذا الموقف ايدوا فعلا ان يقوم عمال وفلاحو مختلف البلدان بذبح بعضهم البعض من اجل تأمين مصالح برجوازية بلدانهم في التوسع واقتسام الحصص في حرب نهب وسلب وابادة

---

* لينين - المختارات مجلد ٨ ص - ٢٣١ -

شملت الملايين من ابناء مختلف الشعوب . ولم يكن الموقف من الاستعمار ومن استعباد الشعوب الاخرى ، قد نشأ فجأة بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى ، فقبل الحرب كانت البلدان الامبريالية قد بدأت عملية الاستيلاء واستعباد عشرات الشعوب الاخرى قبل نشوب الحرب وجاءت الحرب الاولى بمثابة ذروة في تنافس الضواري الامبرياليين على خيرات الشعوب الاخرى . في مؤتمر «شتوتغارت» الذي عقدته الاممية الثانية عام ١٩٠٧ ، كانت قضية المستعمرات والموقف منها من اهم القضايا التي بحثها المؤتمر . وكان موقف الاحزاب الانتهازية يتلخص في الدفاع عن الاستعمار تحت ذريعة «الدور التمديني» له . وما يقوم به من تحديث في حياة الشعوب المتخلفة . وقد فضح لينين هذه الدعوات داخل المؤتمر ذاته ، وبين بربرية الرأسماليين الذي كانوا يضطهدون ملايين الشغيلة في البلدان المستعمرة من اجل تكديس الثروات وانماء رؤوس الاموال . وقد صوت نصف نواب احزاب الاممية الثانية الى جانب دعم الاستعمار . وظهر بوضوح ذلك الميل الشوفيني الذي بلغ الذروة بعد اندلاع الحرب الاولى ، حيث سارعت الاحزاب الانتهازية الى خيانة الطبقة العاملة في بلدانها باعلانها التأييد العلني لحرب الضواري ووقوفها مواقف قومية متعصبة ولم يكن ثمة مثيل للجلاء الذي اعلنت فيه هذه الاحزاب خيانتها . وكان حزب البلاشفة هو الحزب الوحيد المتماسك الذي رفع شعار النضال ضد الحرب الامبريالية وضرورة تحويلها الى حرب اهلية للاطاحة بسلطة البرجوازية ، وفضح دون هوادة الطابع البربري للحرب الاستعمارية والاطماع التي تقف ورائها ، ووقف بحزم الى جانب نضال الشعوب المقهورة ودعاها الى النضال ضد الضواري الامبرياليين .

في ٤ آب ١٩١٤ صوت النواب الاشتراكيون في «الرايخشتاغ» الالماني وفي البرلمان الفرنسي على الاعتمادات العسكرية لحكومات بلدانهم ، وفيما بعد اشترك ممثلو الحزب الاشتراكي الفرنسي في الحكومة البرجوازية وحذا حذوهم البلجيكيون وفي انكلترا ساند حزب العمال «حكومته» البرجوازية في حربها دون قيد اوشرط . يقول لينين في مؤلفة «افلاس الاممية الثانية» انه من اجل صياغة الامر بصورة علمية ، اي من وجهة نظر العلاقات بين الطبقات في المجتمع المعاصر ، ينبغي القول ان معظم

الاحـزاب الاشـتراكية ـ الديمقراطية قد انضمت الى جانب هيئة اركان جيوشها ، الى جانب حكـومـاتهـا وبـرجـوازيتهـا ضد الـبر وليتاريا ، وفي ذلك حدث ذو اهمية تاريخيـة وضـع النهـاية الكاملة للاممية الثانية ـ فقد احتضرت واهترأت الاممية الثانية نتيجة قيامها بدور خادمة للبرجوازية العالمية : «انها لاممية صفراء حقا !» * هلكت تحت ضربات الانتهازية .

الظروف التاريخية لنشوء الامميات الثلاث

نشأت الامميـات الثـلاث ، الاولى والثـانية والثالثة ، في ظروف تاريخية ملموسة ومحـددة . فالامميـة الاولى (١٨٦٤ ـ ١٨٧٢) كانت قد ارست اسس تنظيم العمال على نطـاق عالمي بغيـة التحضير للهجوم الثوري على الرأسمال . اما الاممية الثانية (١٨٨٩ ـ ١٩١٤) فقد كانت منظمة عالمية للحركة البر وليتارية تنامت افقيا الامر الـذي ادى الى هبـوط مؤقت في المستـوى الثـوري ، والى اشتـداد مؤقت أضـا في النزعات الانتهازية داخل الحركة العمالية وأدى ذلك الى افلاسها افلاسا مخزياً .

الامميـة الثـالثـة التي تأسست عام (١٩١٩) فقد جاءت نتيجة لظفر النضال ضد الانتهـازيـة والاشـتراكيـة الشـوفينيـة ، لا سيما خلال الحرب الامبر يالية الاولى ، ونتيجةً لانتصار ثورة اكتوبر ونشوء احزاب شيوعية من طراز جديد ، ماركسي لينيني في عدة بلدان وامم . وتميـزت الـرسـالـة الاولى للامميـة الثالثة (الشيوعية) في تطبيق تعـاليم ماركس انجلز ولينـين والمثـل العليـا للاشـتراكية ، وهي ورثت ثمار نشاطات الامميـة الاولى ، والاممية الثـانيـة ايضـاً وقامت ببتر أسس الاخـيرة الـبر جـوازي الانتهـازي والشـوفيني وطفقت تنـاضـل في ظروف دوليـة جديـدة ، من اجـل

---

* لينين ـ المختارات . مجلد ٨ ص ـ ٥٢٠ ـ

الاشـتراكيـة . في اول مؤتمـر عقدته الاممية الشيوعية حضر ممثلو (٣٨) حزباً شيوعياً وعـماليـاً واتجـاهـات ثوريـة في احـزاب عمالية ، ثم تنامت فيها بعد الاحزاب العمالية والشيـوعيـة وتفولذت على اساس الماركسية ـ اللينينية والأممية البر وليتارية وحافظت على نقـاوة المـاركسيـة ـ اللينينية وقامت العلاقات بين احزابها على اساس التضامن الكفـاحي والامميـة الثـوريـة التي اوجـدت علاقـات كفاح وثيقة بين الحركة العمالية واحـزابهـا وبـين حركـات التحرر الوطني في القارات الثلاث . وشهدت مرحلة حياة الامميـة الشيوعية الثالثة (١٩١٩ ـ ١٩٤٣) ظاهرة جديدة في الحركة الثورية العالمية تلك هي تلاحم النضال الثوري ضد الامبريالية على النطاق العالمي بين التيارات الثـلاث في الحـركـة الثـوريـة المعاصرة : الاشتراكية العالمية ، حركة التحرر الوطني العالمية ، وحركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية . وبفضل نضال الاممية الثالثة الفكـري والسيـاسي وتصـاعد كفاح الشعوب المستعمرة في القارات الثلاث ، ونمو البر وليتـاريا فيها عدديا ولنضج النسبي لوعيها الطبقي ، ظهرت عشرات الاحزاب والشيوعية والعمالية والحركات الماركسية الثورية في بلدان (العالم الثالث) الامر الذي اضفى على كفـاح الشعـوب المستعمـرة طابعـاً جديـداً ، جذرياً ، تمثل في ان هذه الشعوب في الوقت الذي تناضل من اجل حقوقها القومية والوطنية ضد الامبريالية ، فانهـا تنـاضل في نفس الوقت ضد طريق التطور الرأسمالي ، وتحضر قبر الرأسمالية ، الى جانب الفصائل الثورية العالمية .

وضع جديد ومهمات جديدة

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وظهور المعسكر الاشتراكي ، والنهوض العارم في حركة التحرر ، ظهر وضع جديد ، في ميزان القوى الدولي ، وعلى اساسه انتشرت عشـرات الاحـزاب الشيوعية والعمالية والثورية في مختلف القارات . وظهرت مهمات جديـدة امـام الحـركـة الثورية العالمية ، ادت الى قيام علاقات اممية ثورية ، اصبح معها استمرار شكل التنظيم السابق للحركة العمالية واحزابها يشكل عائقا امام تطور

الحركة الثورية وهكذا جاء حل الاممية الشيوعية (١٩٤٣) ليعكس ادراكاً مبكراً في داخل الحركة الشيوعية لطبيعة الظروف الجديدة خاصة وان حركة التحرر الوطني اخذت تلعب دوراً رئيسياً في النضال ضد الامبريالية على النطاق الدولي .

وبالطبع فان الاممية البروليتارية والتضامن الثوري ، قد اكتسبا محتوى جديداً ، في قيام علاقات تعاضد بين الحركة الشيوعية العالمية وحركات التحرر الوطني ، على قواعد مادية راسخة تتمثل في العون الكبير السياسي المادي والعسكري الذي تقدمه الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفياتي لكفاح الشعوب التحرري والثوري .

ان جوهر الاممية البروليتارية ينعكس باقصى ايجاز ودقة في شعار الاخوة والتضامن الاممي «ياعمال العالم وياايتها الشعوب المضطهدة اتحدوا !» .

وتنطلق الماركسية من ان نشاط كل فصيل ثوري ينطلق من الصعيد الوطني ولهذا كانت اشكال نضال كل فصيلة وطنية اشكال وطنية . لكن الشغيلة تواجههم في كل ارجاء العالم طبقة الرأسماليين العاملة كقوة عالمية .

وايا كانت القومية التي ينتمي اليها العامل والفلاح والشغيل فانهم جميعاً يذودون عن العمل ضد الرأسمال . ومن هنا فان كل استصغار لشأن التحالف الاخوي بين شغيلة مختلف البلدان وللمؤازرة المتبادلة بين الشعوب في قضية بناء المجتمع الجديد ، يتنافى مع متطلبات الاممية البروليتارية . واهداف الثورة العالمية ، بل الثورة في كل بلد من البلدان .

يقول انجلز «ان للبروليتاريين في جميع البلدان مصالح واحدة وعدوا واحداً ، ويتعين عليهم خوض نضال واحد . » والرئيسي في الاممية هو التضامن الفعلي ، التضامن بالاعمال وليس بالاقوال والقرارات ، بل في الواقع .

كتب لينين : «من يشاء ان يخدم البروليتاريا ، لابد له ان يجمع صفوف العمال في جميع الامم وان يناضل بلا كلل ولاتردد ضد التعصب القومي البرجوازي ، ضد تعصب «امته بالذات» وضد تعصب الامم الاخرى . » . *

---

* لينين : المختارات . مجلد ٥ ص - ٦٤ - التشديد للينين

ان الوحدة الاممية للطبقة العاملة وجميع القوى الثورية في عصرنا الراهن ، لاتنفي امكانيات مواقف مختلفة في حل مختلف القضايا الملموسة . ولكن يجب عدم تحويل ذلك الى ذريعة لانتهاك ماهو اساسي وجوهري في التضامن الاممي والثوري .

الفوارق بين اوضاع الاحزاب الشيوعية الحاكمة في البلدان الاشتراكية ، والاحزاب الشيوعية في الدول الرأسمالية ، والاحزاب الشيوعية والحركات الثورية في «العالم الثالث» تؤدي حتماً الى ظهور هذه او تلك من الاختلافات في الموقف بصدد هذه القضية او تلك من قضايا النضال . وبالطبع لكل منظمة وحزب ثوريين ان تتخذ مواقفها بحرية . ومن الجوهري ان يتم تقييم السياسة والمواقف واتخاذها من مواقع الماركسية وان يتناول النقاش بين الاحزاب والمنظمات الثورية قضايا النضال المشترك بروح مفعمة بالاممية مع احترام استقلال كل فصيل ثوري .

وقد بينت الحياة بالملموس ان تعزيز التضامن الاخوي الكفاحي ، يجب ان يستمر حتى في حال وجود خلافات بصدد هذه المسألة او تلك بين هذا الفصيل الثوري وذاك . اعتبر لينين ان مبادىء الاممية البر وليتارية ترتدي في كل منعطف تاريخي اشكالاً مناسبة للتعبير ، وتتطور وتغتني بالممارسة الثورية ، وبقدر مايتطور نضال الجماهير الثوري بقدر مايزداد مضمون الاممية الملموس غنى وتنوعاً وعمقاً .

ان العهد المعاصر يتميز بارتفاع مستوى تطور الاممية البر وليتارية تطوراً واسعا وخارقاً . فقد تخطت الاممية حدود الحركة العمالية واصبحت راية لكل القوى الثورية . اذ يتوطد النظام الاشتراكي وتجري العملية الثورية في كل القارات تحت شعار التضامن الثوري بين الاشتراكية العالمية وحركات التحرر والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية .

في مقالة لينين «خلاصة المناقشة حول حق الامم في تقرير مصيرها» وفي مقالة «مسودة اولية للموضوعات في المسألة القومية ومسألة المستعمرات» وفي غير ذلك ، يؤكد لينين على الوحدة بين مصالح البر وليتاريا العالمية ، والحركة الثورية في كل القارات . ويشير الى ان المصالح الاساسية بين جميع الفصائل الثورية متطابقة في الجوهر وباستمرار .

لكن وحدة المصالح الوطنية والمصالح الاممية قد لاتتطابق بشكل مطلق وفي

مختلف الظـروف . فبحكم اختـلاف مستـوى التطـور الاقتصـادي والاجتماعي والثقافي ، واختلاف الخصائص الوطنية ، يمكن ان لاتتطابق مصالح البر وليتاريامع بلد معني مصالح البر وليتاريا العالمية ، في لحظة معينة في التاريخ . لكنها تتطابق اذا نظرنا اليها على صعيد المستقبل ومن وجهة نظر المهام الاكثر جوهرية والطويلة الامد .

لذا اكـد لينـين على ضرورة «اخضـاع مصـالـح النضال البر وليتاري في بلد من البلدان لمصالح هذا النضال في النطاق العالمي» . *

وقـد طور لينـين مقـولات ماركس القـائلة ان اضطهـاد الشعـوب الاخـرى يعزز الـرجعيـة الاوربيـة ويضعف مواقـع عمال البلدان الرأسمالية . فاشار الى ان انتصار الثـورة الـبر وليتـاريـة لايمكن ان يكـون وطيـدا بدون وحـدة العمل مع قوى حركة التحـرر الـوطني في اسيا . فكتب يقول : «اننا سنبذل قصارى جهودنا للتقارب مع المنغـوليـين والفـرس والهنـود والمصـريين والاندماج بهم ، ونحن نعتقد ان من واجبنا ومصلحتنا ان نفعل ذلك ، والا تكون الاشتراكية في اوروبا غير وطيدة .» **

لقـد قدم التـاريـخ الـبرهان الساطع على نبوءة لينين في تقريره في المؤتمر الثاني لعامة روسيـا للمنظـمات الشيوعية لشعوب الشرق ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩ الذي قال فيه ان « الثورة الاشتراكية لن تكون كليا ولابصورة رئيسية عبارة عن نضال البر وليتاريين الثـوريـين في كل بلد ضد برجـوازيتهم ، ـ بل ستكـون نضـالا من قبـل جميـع المستعمرات والبلدان التي تظلمها الامبريالية ، نضالا من قبل جميع البلدان التابعة ضد الامبريالية العالمية .» ***

وقـد تحققت مقـولـة لينـين العبقـريـة القـائلة «بمسـاعدة البر وليتاريا في البلدان المتقدمة ، يمكن للبلدان المتأخرة ان تنتقل الى النظام السوفييتي والى الشيوعية عبر

---

* لينين : المختارات . مجلد ١٠ ص ـ ٢١ ـ

** لينين : المختارات مجلد ٦ ص ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ

*** لينين : المختارات مجلد ٩ ص ـ ٢٣١ ـ

درجات معينة من التطور متجنبة مرحلة التطور الرأسمالي . »*

ان تحالف الاشتراكية وحركات التحرر هو قانون موضوعي في العملية الثورية العالمية . وتبذل الامبريالية والرجعية كل المساعي من أجل بذر الشقاق بين حركات التحرر الاشتراكية العالمية ، باللجوء الى ترويج الانكار القومية الشوفيتية والضيقة التي تقف بالضد من التلاحم الاممي الثوري بين الاشتراكية وحركات التحرر . ولهذا فان من واجبات حركات التحرر الثورية المهمة النضال بلاهوادة ضد كل النزعات الداعية الى خصم علاقات التحالف الثوري بينها وبين الاشتراكية . وذلك عامل هام في امكان تحقيق حركات التحرر للانتصار وفي توطيد موقعها الثوري ومساهمتها بقسطها في العملية الثورية العالمية .

وقد بذلت الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، في اطار هجومها الشامل على حركة التحرر العربية ، جهودا كبيرة ، من اجل فصم علاقات التحالف الاممية الثورية بين حركة التحرر العربية والمعسكر الاشتراكي . ونجحت في توجيه ضربات كبيرة للصداقة العربية السوفياتية ـ كما حصل في مصر والعراق والسودان وغيرها ـ وكان خصم التحالف بين هذا البلد العربي اوذاك وبين الاتحاد السوفياتي ، يعني مباشرة ارتداد هذا البلد عن السياسة الوطنية وسيره في فلك الامبريالية العالمية .

واذا كانت الامبريالية والصهيونية والرجعية قد نجحت في حرف انظمة برجوازية عربية عن طريق التحالف مع الاتحاد السوفياتي ، وعن طريق التطور المستقل ، فانها فشلت في فصم عرى التحالف المتين بين كل فصائل حركات التحرر العربية التي تناضل خارج الحكم ، وبين الاتحاد السوفياتي وبقية البلدان الاشتراكية . اذ تزداد علاقات التضامن الاممي والاخوي بين حركة التحرر العربية والبلدان الاشتراكية سعة وغنى يوماً فيوم ويتعمق طابع هذه العلاقات ، في النضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية .

* * *

---

* لينين : المختارات . مجلد ١٠ ص ـ ٩٦ ـ

مؤلف لينين : ماالعمل ؟ وقضية بناء الحزب الثوري

كتب لينين كتابه ماالعمل في اواخر عام ١٩٠١ واوائل عام ١٩٠٢ . وخاض فيه في كل المسائل الحيوية فيما يتعلق ببناء حزب ماركسي ثوري للطبقة العاملة الروسية وقد كان لهذا الكتاب دور هام في تأسيس الحزب الماركسي من طراز جديد على اساس الافكار اللينينة فيما يتعلق بقواعد التنظيم في حزب الطبقة العاملة .

وقد تحول هذا الكتاب الى وثيقة برنامجه ثم على ضوئها الانتصار النهائي للاتجاه الماركسي الثوري في مؤتمر الثالث لـ «حزب العمال الاشتراكي والديمقراطي في روسيا» عام ١٩٠٣ .

وكان الصراع قد اندلع على اشده في عام ١٩٠١ بين الاتجاهات الثورية في المنظمات الاشتراكية الديمقراطية الروسية ، والاتجاهات اليمينية «الاقتصادية» والاتجاهات اليسارية الانتهازية . فكتب لينين مقالات عدة في جريدة «الايسكرا» ابتدأها بمقال «بما نبدأ» في تأسيس حزب عمالي ثوري واصبح هذا المقال هو المخطط الاساسي لكتاب «ماالعمل» .

كانت مساعي لينين أنذاك تنصب على توحيد المنظمات الاشتراكية الديمقراطية وفي منظمة واحدة ، لعامة روسيا ، اي حزب ثوري بروليتاري موحد . الا انه في الجدال النظري الذي نشبا بين ممثلي مختلف التيارات بدت مهمة توحيد كافة الاتجاهات في منظمة واحدة ، عملية مستحيلة ، ذلك ان ممثلي التيارات اليمينية والانتهازية ، افترقوا في كل مفاصل الجدل الاساسية ، عن الافكار الماركسية

الثورية فيما يتعلق ببناء الحزب الماركسي الثوري . فكان كل اتجاه ، يحاول ، ان يجد «حزبه» الخاص ، القائم على مبادىء نظرية وتنظيمة بعيدة كل البعد عن الماركسية ، رغم ان ممثلي التيارات اليمينية كانوا يصرخون ، انهم ماركسيون وثوريون .

وفي ايلول ١٩٠١ عقد المؤتمر التوحيدي لمنظمات حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ، في الخارج ، وتمثلت في المؤتمر اربعة اتجاهات كانت حصيلة الصراع فيما بينها ان انسحبت منظمتان ثوريتان وبذلك فشلت مساعي توحيد اربعة منظمات كانت قائمة آنذاك هي منظمة «الايسكرا» والمنظمة الثورية «الاشتراكي - الديمقراطي» ومنظمتين يمينيتين هي «اتحاد الاشتراكيين - الديمقراطين الروس» وفرقة «النضال» .

خاض لينين صراعاً نظرياً ضد الاتجاهات اليمينية الانتهازية ، وكان هذا الصراع قد تجلى في مناقشة جملة من المفاهيم الانتهازية التي شوهت الماركسية عن عمد ، وبحثت عن كل مامن شأنه تحويل حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، الى حزب اصلاحي انتهازي تقوم مهمته على الدعوة من اجل اصلاحات جزئية في النظام الاقطاعي البرجوازي الروسي ، من خلال تقديس الحركة العفوية للطبقة العاملة ، وقصر نضالها على النضال الاقتصادي لتحسين شروط العبودية الطبقية وليس الغائها ، مع عدم الايمان بدور الوعي الثوري في حركة الطبقة العاملة ، وانكار اي دور تاريخي حتمي للبروليتاريا . وفي نقاش لينين لهذه الاتجاهات لم يقتصر الحديث عن الانتهازية الروسية . بل شمل ايضا كافة اشكال ظهور الانتهازية في الحركة العمالية العالمية آنذاك فخاض لينين الصراع ضد ممثلي الانتهازية الفرنسيين ، والالمان والانكليز كما خاضه ضد ممثليها الروس .

وقد قسم لينين كتابه في نقاشه الى عدة ابواب ، هي في الحقيقة ، النقاط البرنامجية الاساسية فيما يتعلق بتأسيس حزب ماركسي ، ثوري . من الناحية الايديولوجية العقائدية والنواحي التنظيمية والسياسية . وادناة عرض باهم النقاط البرنامجية التي ناقشها لينين ، وسنقوم بتقديم شرح مكثف لكل نقطة على حدة :

١ - الجمود العقائدي «وحرية النقد» .

٢ ـ عفوية الجماهير ودور الوعي الثوري .
٣ ـ سياسة «الاقتصاديين» والسياسة الاشتراكية ـ الديمقراطية الثورية .
٤ ـ مشروع جريدة سياسيه لعامة روسيا .

١ ـ الجمود العقائدي «وحرية النقد»

انتشر شعار «حرية النقد» انتشاراً واسعاً وسريعاً في كل المنظمات العمالية الانتهازية في روسيا والمانيا وفرنسا وغيرها في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين ، وكان المضمون الاساسي الذي يعطى «لحرية النقد» من قبل الانتهازيين يتلخص في الدعوة لانتقاد الماركسية واعتبارها نظرية «قديمة جامدة» واخفى الانتهازيون في صراعهم من اجل حرية النقد انهم يسعون الى جر الحركة العمالية الروسية والعالمية نحو مهاوي الانتهازية اليمينية ومن اجل تحويل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الثورية الى احزاب اصلاحية . وقد انكر الانتهازيون في كل اوربا ، على اختلاف اصنافهم امكانية «دعم الاشتراكية علمياً وامكانية البرهان على ضرورتها وحتميتها من وجهة نظر المفهوم المادي للتاريخ» كما انكروا «تزايد بؤس البروليتاريا وتفاقم التناقضات الطبقية» ورفضوا «فكرة ديكاتورية البروليتاريا رفضاً قاطعاً» وانكروا «التضاد المبدئي بين الليبرالية والاشتراكية» واخيراً انكار «نظرية النضال الطبقي» . *

وهكذا فقد تحولت قضية الانعطاف الحاسم من السياسة الثورية للاحزاب العمالية ، الى سياسة معلنة تهدف الى توجيه كل المدافع ضد الماركسية الثورية تحت حجة «حرية النقد» وهكذا ، كما يقول لينين ، فان الانتهازية اوضحت ان «حرية النقد» هي حرية تحويل احزاب العمال الثورية الى احزاب اصلاحية انتهازية ، وحرية ادخال الافكار البرجوازية والعناصر البرجوازية الى الاشتراكية .

---

* لينين ـ ما العمل ـ دار التقدم ـ موسكو ص ٨ .

سار الانتهازيون في طريقهم وهم يصرخون «عاشت حرية النقد !» ولم ينكر عليهم لينين طريقهم الذي اختاروا ، لكن المهمة الاساسية بنظره كانت تتقوم بضرورة الحفاظ على الجوهر الثورية في الاشتراكية وبناء حزب العمال على اساسه .

لقد تخندق الانتهازيون الروس ،خلف وجهات نظر مجموعة من منظريهم في اوربا وروسيا ، «برنشتين ، لاسال ، دوهرنغ ، مارنيتوف» وراحوا يقلدون بعضهم البعض في التنافس على «انتقاد الماركسية» من وجهة نظر اصلاحية ، ولم يكن ذلك التقليد وليد الصدفة. اذ ن المضمون الاجتماعي السياسي الواحد للانتهازية العالمية المعاصرة يتجلى في هذا المظهر او ذاك تبعاً للخصائص الوطنية» . *

بيّن لينين الطابع الخاص ، لانتشار الماركسية في روسيا ، والظروف التاريخية الملموسة التي ادت الى واقع ان اعداد كبيرة من الناس قد اصبحوا ماركسيين ، لكنهم لم يفقهوا من الماركسية ، الا تلك التفسيرات السطحية والانتهازية لها التي تبرع ماركسيون انتهازيون بتقديمها للجمهور . وقد شن الانتهازيون هجومهم تحت صرخات «حرية النقد» على الاساس النظري الماركسي في الاحزاب العمالية ، وتشبثوا بمقولات تقول ان المهم هو هذا التجمع العمالي ، المهم المصالح الراهنة للعمال ، لان العمال اذا استطاعوا الحصول على مكاسب راهنة في النضال الاقتصادي من اجل تحسين مستوى الاجور ، فان ذلك افضل من دستة من البرامج النظرية !وكان هؤلاء يهاجمون الماركسيين الثوريين الروس ويتهمونهم بالجمود العقائدي والمذهبي ذلك انهم يقرنون النضال السياسي والاقتصادي للبروليتاريا بالنضال النظري الايديولوجي ويحرضون الطبقة العاملة والجماهير الشعبية ، لا على ضرورة الانتصار في هذا المصنع اثر حركة اضرابية حسب ، بل الضرورة القصوى لان يرى عمال هذا المصنع المعني ، ان اضرابهم على اهميته ، هو الشكل الاوطأ من النضال العمالي ، الذي يجب ان يكتسب محتواه السياسي

---

* نفس المصدر ص ١٦

والنظري ، بالنسبة لهم ولكل العمال ، من اجل الاطاحة بسلطة البرجوازية بالاسلوب الثوري . وكما يقول لينين فان الانتهازيون باهمالهم المتعمد للنظرية الثورية ، لايستبدلون نظرية باخرى ، كما يزعقون بقدر مايعلنون تخليهم النهائي عند كل نظرية «متكاملة ووليدة التفكير» . ذلك يعني التمسك بمذهب انتقائي عديم المبادىء .

ويمكن تبيان مقدار ضحالة الانتهازية ، من واقع انها تستشهد بماركس من اجل قتل الماركسية . فهي تدعم اصلاحيتها وعدم ايمانها بالنظرية بترديد قول ماركس «ان كل خطوة تخطوها الحركة العملية اهم من دستة من البرامج . ان تكرار هذه الكلمات في مرحلة الاضطراب النظري يشبه صراخ من يصرخ» ان شاء الله دايمه !

«عند رؤية جنازة» اضف الى ذلك ان ماركس قال عبارته ، هذه في نقد برنامج غوتا ، حيث ندد بشدة بالمذهب الانتقائي ودعا الاشتراكيون الثوريون الالمان الى عدم المساومة بالمبادىء قائلاً لهم «اياكم والتنازل النظري» ، واذا كان لابد من عقد معاهدات بغية بلوغ اهداف عملية محدودة فلا بأس . لكن ليس على حساب النظرية والمبادىء .

يقول لينين «لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية» وان التشديد على ذلك يعكس مدى الجدية في العمل لبناء حزب ماركس ثوري حقيقي . وفي ظروف روسيا الملموسة في بداية القرن العشرين ، كان عدم التمسك بهذه المقولة يعني فتح كافة الابواب امام الانتهازية بشتى الوانها لتغرق حركة البروليتاريا وحزبها الطليعي في متاهات . فقد اشار لينين الى ان حزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي في طور التكوين ، وعلى تأسيسه على المبادىء الثورية يتوقف مستقبل البروليتاريا وحزبها الثوري لسنوات طويلة جداً كما ان الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية الثورية هي حركة اممية ، يتعين عليها النضال ضد الشوفينية وضيق الافق القومي في بلادها ، وفي كافة البلدان في آن واحد . وقد ادرك لينين المهمة التاريخية الكبيرة الملقاة على عاتق الطبقة العاملة الروسية والحركة الثورية الروسية فيها منذ فترة مبكرة وطبيعة الواجبات السياسية والتنظيمية التي يجب ان ينهض بها حزب يهدف

الى تحرير الشعب «لايستطيع القيام بدور مناضل الطليعة الا حزب يسترشد بنظرية الطليعة» *

كان الانتهازيون الروس يرددون في مطبوعاتهم ان تم شكلين من اشكال النضال هما «سياسي واقتصادي» متغافلين عن تعاليم ماركس وانجلز اللذين وضعا النضال النظري ، الايديولوجي في مصاف الشكلين الانفيين .

يقول انجلز في كراسه «حرب الفلاحين في المانيا» ان «واجب القادة على وجه الخصوص ان يثقفوا انفسهم اكثر فاكثر في جميع المسائل النظرية . . وان يأخذوا دائماً بعين الاعتبار ان الاشتراكية مذ غدت علماً ، يجب ان تعامل كما يعامل العلم ، اي تتطلب ان تدرس . والوعي الذي يكتسب بهذا الشكل ويزداد وضوحاً ، ينبغي ان ينشر بين جماهير العمال بهمة مضاعفة» .

الانتهازيون اذ يغفلون عن عمد دور النظرية ، فانهم ينكرون المصادر الثلاث الاساسية للماركسية اي الفلسفة والاقتصاد السياسي وتجربة الحركة العمالية العالمية .

٢ ـ عفوية الجماهير ودور الوعي الثوري

اتهمت الاتجاهات اليمينية في الحركة العمالية الروسية في بداية القرن العشرين الاتجاهات الثورية ، بانها تميل للتقليل «من اهمية العنصر الموضوعي او العفوي في التطور» . وقد استدعت العلاقة بين الوعي والعفوية انتباه لينين ، وقدم تحليلاً ملموساً مستمد من تاريخ الحركة العمالية الروسية ذاتها ، وماتعكسه من واقع ان العفوية ليست رديفاً لانعدام الوعي ، بمقدر ماهي مؤشر الى وصول الوعي الطبقي احدى مراتبه الادنى .

---

* نفس المصدر ص ٢٧

حدثت في روسيا اضرابات عمالية في القرن الثامن عشر ، قام فيها العمال ، كما في انجلترا التي سميت بالحركة الجارتيه - بتحطيم الالات ، اذ كان العمال ، ابان المرحلة الاولى من الثورة الصناعية يعتقدون ان سر استغلالهم وقهرهم يرجع الى هذه الالات ورغم ان تحطيم الالات هو في الواقع . لايعكس باي حال من الاحوال ، فهم صائب لمصدر الاستغلال الحقيقي ، الا انه كما يقول لينين يعني ان العمال امسوا - ولم يدركوا - احساساً فطرياً باستغلالهم . فظهرت مركز تحطيم الالات باعتبارها نوع من «الشغب» وهي كذلك فعلاً . الا ان نضال العمال لم يقتصر على هذا الشكل العفوي فعلاً من النضال . ففي القرن التاسع عشر ، اغتنى مضمون نضال الحركة العمالية الروسية من واقع انها قامت بسلسلة كبيرة من الاضرابات كانت بعض هذه الاضرابات قد حملت ثمار الوعي الاولى ولم يتم القضاء بالطبع نهائياً على العنصر العفوي من الاضرابات من واقع ان طبيعة تنظيم ومطالب العمال في هذه الاضرابات ، لم تكن بعد ملتحمة ، بالنضال السياسي فاستمرت في طابعها كنضال اقتصادي معزول ، يخوضه عمال هذا المصنع او ذاك ، ويقدمون خلاله مطالب صغيرة لكن هل يعني هذا ان ليس هناك وعي ، على صفة الاطلاق مادامت الاضرابات الاقتصادية غير ملتحمة بالمطالب السياسية ؟

يجيب لينين عن ذلك بالنفي . اذ ان «العنصر العفوي» ليس في الجوهر غير الشكل الحقيقي للوعي * وفي اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قامت اضرابات حملت درجات معينة من الوعي ، انعكس في طابع المطالب المقدمة وحسبت مسبقاً اللحظة المناسبة للاضراب وجرى تضامن بين عمال فروع صناعية ، وهذا ماجعل هذه الاضرابات تتحول الى مظهر من مظاهر الصراع الطبقي . لكنه بقي مظهراً جنينياً ولم يكن ممكناً الا ان يكون كذلك ، الاضرابات هذه اظهرت التناحر بين العمال وارباب العمل ، لكن العمال لم يعوا بعد التضاد المستعصي بين مصالحهم وبين النظام السياسي الاجتماعي القائم ، اي انهم لم يحصلوا بعد على

---

* نفس المصدر ص ٣١

الـوعي الاشـتراكي . وعـدم وجود الوعي الاشتراكي في الحركة العمالية ، في غياب حزب اشـتراكي ، امـر بديهي . ذلـك ان الحـركة العمالية لايمكنها ان تصنع وعيها السياسي الاشتراكي بمفردها . وكما يقول لينين «ولنا في تاريخ جميع البلدان شاهد على ان الطبقـة العـاملة لاتستطيـع ان تكتسب بقـواهـا الخـاصـة فقـط غير الوعي الـتريديـونيـوني ـ اي الاقتنـاع بضرورة الانتظام في نقابات والنضال ضد اصحاب الاعمال ومطالبة الحكومة باصدار هذه او تلك من القوانين الضرورية للعمال .»*

امـا التعـاليم الاشـتراكيـة فلقـد انبثقت عن النظـريـات الفلسفيـة والتـاريخيـة والاقتصـاديـة التي وصفهـا مثقفـون من ممثـلي الطبقات المالكة . ان ماركـس وانجلز ينتسبـان من حيث وضعهـما الاجتماعي الى المثقفين البرجوازيين . وفي روسيا ، كما في بقية البلدان ظهر المذهب الاشتراكي بشكل مستقل عن النهوض العفوي لحركة العمال .

ان اليقظـة العفـويـة لجماهير العمال ، ومع نشاط الاشتراكيين الثوريين في روسيا اواخـر القـرن التاسع عشر ، ادت الى التحام الاشتراكية بالحركة العمالية بشكل تدريجي ، وجرت هذه العملية وسط ظروف معقدة ، اذ لم ينبثق الوعي الاشتراكي دفعـة واحـدة في صفـوف العـمال . وكانت الدلائل الهامة على هذه العملية اصدار صحف اشـتراكيـة ، كانت مهمتها تعيين المهام الانية للحركة العمالية وترشد العمال الى برامج محددة في النضال . وهنا ايضاً في المرحلة الاولى من عملية غلغلة الافكار الاشتراكية بين العمال ، ظهرت نواقص واخطاء . الا ان ذلك كان نصف معينة كما يقـول لينـين ، والمصيبة الكاملة هي ان اشتراكيين انتهازيين وبعد ان تخطت الحركة الاشـتراكيـة في روسيـا درجـات الـوعي الاولى ، عادوا للدعـوة من اجـل تقـديس العفـويـة ودعـوة العـمال الى عدم الانتباه الى مايقـوله اولئك الاشتراكيون الثوريون الذين يصيغون البرامج ويتحدثون في السياسية والاقتصاد والفلسفة . وليس هم من العـمال انفسهم ! وراحت آنـذاك الدعوات اليمينية الاقتصادية التي تقول للعمال ان حيوية حركتهم تكمن في انتفاضهم على قادتهم اي الاشتراكيين الثوريين وبدلا من

---

* نفس المصدر ص ٣٢

الدعوة الى المزيد من ادخال الوعي الاشتراكي في صفوف العمال والمزيد من التنظيم ، والمزيد من اضعاف العنصر العفوي في الحركة العمالية ، فان التيار الاقتصادي رفع شعارات «النضال من اجل الحالة الاقتصادية» ! و «العمال للعمال» وان صناديق الاضرابات «اهم بالنسبة للحركة من مئة منظمة» !

وكأن التيار «الاقتصادي» اليميني في الحركة العمالية يقول للعمال ان زيادة قرش واحد على اجورهم الشهرية اهم من كل سياسة وكل افكار اشتراكية وكل ادراك وكل وعي ! وهذا التيار يستعير اسلحة البرجوازية ذاتها اذ يوجه النداءات للعمال من أجل النضال من اجل مصالحهم الانية ، من اجل انفسهم فقط ، وليس ثمة حاجة للتضحية من اجل الاجيال القادمة !

ان انصار «الحركة العمالية الصرف» الداعين لاضعاف عنصر الوعي السياسي الطبقي في الحركة العمالية ،هم في الواقع يخدمون مصالح البرجوازية اكثر مما تخدمها البرجوازية نفسها . فاين يمكن ان تجد البرجوازية مثل هذه الخدمة المجانية حيث يقوم من يزعمون انهم قادة العمال ، بدعوة العمال الى عدم المساس بالنظام الاقتصادي الاجتماعي السياسي البرجوازي ، والاكتفاء بالنضال من اجل زيادة فلسين من الاجور ، تحت شعارات «الحركة العمالية الصرف» ! وكل ذلك يؤدي في نهاية المطاف الى اخضاع الحركة العمالية للوعي البرجوازي .

ان الايديولوجية البرجوازية اقدم في الظهور من الايديولوجية العمالية وهي بحكم الواقع الطبقي تملك مقدرة على الانتشار من خلال الصحف ووسائل الاعلام كافة ، ويشمل نطاق تأثيرها بلدان كاملة وليس بلد واحد فحسب . ولهذا فان التشديد على دور نشر الوعي والتنظيم ، يكتسب اهمية استثنائية في حالة البلدان التي مازالت فيها الطبقة العاملة في بداية نموها ، وكلما كانت البروليتاريا في المراحل الاولى من نموها العددي يحتاج الامر الى المزيد من توطيد دور الوعي ، بين صفوف العمال ، لقضاء على تأثير الايديولوجية البرجوازية في صفوفهم .

ان التيار «الاقتصادي» اليميني الانتهازي في الحركة العمالية ، لا ينبذ كل سياسة . فهو يدعو ايضاً لشن نضال سياسي ، ولكن باية طريقة ؟ انه ببساطة شديدة يقول ان السياسة هي بناء فوقي يجب ان يجري في اطاره التحريض على

النضال الاقتصادي ، وان تسير السياسة وراء الاقتصاد ـ اي وراء النضال الاقتصادي المحدود للحركة العمالية ـ كيف يفهم اليمينيون الحركة العمالية الجماهيرية انهم يعتبرونها واقع وعامل هام من اجل تحقيقي دعاواهم الاقتصادية اما هي مهام هذه الحركة السياسية والاجتماعية والتنظيمية ، فذلك مالا شأن لليمين العمالي به .

ان نهوض الجماهير العفوي ، يلقي على عاتق الحزب الثوري مهمات اضافية ذات اهمية كبيرة ، وحاسمة في أمكانية قيادة هذا النهوض اوعدمه . والمهمة الاولى في برنامج ونشاط الحزب الثوري يجب ان تتجه نحوقيادة هذا النهوض ، تنظيمه ، مده بالشعارات ، اي عملياً تحويله الى نهوض سياسي واعي ، وعلى ضوء النجاح في هذه المهمة يمكن القول ان العملية الثورية تسير بطريق صائبة ، وبعكسه ، فان النهوض الجماهيري يمكن اغراقه في الفوضى ، في انعدام التنظيم ، ويمكن تفتيت الجماهير وربما قمعها ببساطة بقوة الحديد والنار .

فالجماهير لاتنهض للنضال وهي عديمة الوعي بشكل مطلق ، بل في الحقيقة ان اوسع الحركات الجماهيرية ، انبثقت في ظروف اشتداد الصراع الطبقي ، في ظروف بلوغ الاستغلال درجات لاتطاق ، ويتوقف نجاح الثورة على عملية قيادة هذا النهوض وتحديد شعاراته ، وتحويله الى قوة مادية جبارة منظمة لايمكن دحرها . اما السير وراء ذيل الحركة الجماهيرية واطلاق صرخات تقديس «عفوية» الجماهير فمن شأنه ان يضيع حركة جماهيرية منظمة ناهيكم عن الثورة .

٣ ـ سياسة «الاقتصاديين» والسياسة الثورية

ان «الاقتصاديين» لا ينكرون اهمية النضال السياسي ، لكن لديهم مفهومهم الخاص الضيق جدا عن السياسة . فهم لا يفقهون من ضرورة النضال السياسي للبروليتاريا ، الا تلك الوضعية التي تقول بضرورة احتفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي . فهم يضيقون حدود التحريض السياسي على جانب واحد

منه فقط ، وهم غير معنيين بتربية الجماهير والطبقة العاملة وتدريبهما على النشاط الثوري ، وهم بتقديسهم للعفوية ، يشتركون بجذر فكري واحد مع الحركات الارهابية . وما دام حالهم هذا فانهم لا يفقهون الصلة بين النضال البروليتاري الطبقي وبين مهام الطبقة العاملة الديمقراطية . وقضية تحويل البروليتاريا إلى قائدة لكافة فئات وطبقات المجتمع ، اي عمليا الشعب باسره باستثناء حفنة صغيرة من البرجوازيين .

ناقش لينين كل نقطة من النقاط الانفة بتفصيل في مجرى صراعه ضد الاتجاه اليميني في الحركة العمالية الروسية .

اظهرت الحركة العمالية الروسية تلازما بين نمو النضال الاقتصادي وظهور ادب التشهير والتحريض الاقتصادي والسياسي . وفي اواخر القرن التاسع عشر ، كانت تلك المنشورات التي تتحدث عن احوال هذا المصنع او ذاك ، تثير الكثير من الاهتمام بهذا الاسلوب من التشهير بارباب العمل . لكن طابع هذا التشهير بقي طابع اقتصاديا . انه يتحدث عن مأساة عمال المصنع الفلاني ، ويهاجم ارباب المصنع ، ويدعو الحكومة الى سن قوانين تخفف من الاستغلال ، اي تنظيم عملية الاستغلال وتدعو الى ازالة الاوجه الاكثر بشاعة منها . «والاقتصاديون» اليمينيون لا يستطيعون رؤية التحريض السياسي ، الا بهذه الصورة الجنينية وذات الاهمية المحدودة . ويعتبرون ان التحريض من خلال النضال الاقتصادي هو الجانب الوحيد والاوسع لاختفاء الصفة السياسية على نضال العمال .

ويتناسى هؤلاء ان ما يدعون اليه ليس نضالاً ثورياً ، بل نضالا تريديونيا فقط . يهدف الى نتيجة هي ان يبيع العمال قوة عملهم بفائدة اكبر ، ويتعلمون كيف يساومون على قوة العمل باعتبارها سلعة تجارية صرف . وليس من شك في ان هذا النضال الاقتصادي له اهميته الطبقية السياسية متى ماارتبط بالتحريض الاشتراكي الذي هو هنا تحريض سياسي بالاساس . اما اذا اقتصر الامر على التحريض الاقتصادي ، كما يفعل «الاقتصاديون» فمعنى ذلك العودة بالحركة الثورية الى الوراء عشرات الخطوات .

ان المذهب الاشتراكي يمثل الطبقة العاملة لا في علاقاتها مع هذه الفئة او تلك

من اربـاب العمـل وحسب ، بل ايضـا في علاقاتها مع جميع الطبقات في المجتمع ، ومـع الـدولـة بوصفهـا قوة سيـاسيـة منظمة موضوعة في خدمة طبقة مسيطرة . ولهذا لايمكن لحزب ثوري للطبقة العاملة ان يصرف كافة جهوده على تنظيم التحريض الاقتصـادي اذ تقـع عليـه مهمة تربية الطبقة العاملة سياسياً وتنمية وعيها السياسي والاجتماعي .

هل تتلخص الـتربيـة الـسيـاسيـة للطبقـة العـاملة بترديد عبارة تقول ان الطبقة العـاملة عدو لنظـام الحكم القائم ؟ لا بالتأكيد لا يكفي ان نبين للعمال ما يحيط بهم من ظلم سياسي ، فمن الضـروري القيـام بالتحريض ضد كل مظهر ملموس من مظاهر هذا الظلم . وهذا الظلم يمس غالبية الطبقات والفئات الاجتماعية ويتجلى في كافة جوانب الحياة الاقتصادية ـ الاجتماعية ، وهذا يتطلب من الحزب الثوري ان يقوم بالتشهير والتحريض على نطاق شامل .

ليس لدى الاتجـاهـات اليمينيـة في الحـركة العمالية سوى لازمة «ضرورة ان يتبع حريض السياسي للتحريض الاقتصادي وهم بذلك يضعون القضية بالمقلوب ، فالتحـريض الاقتصـــادي يتحـول الى مجرد ثورات شغب مالم يكن خاضعـاً لهدف سيـاسي محدد ، مالم يكن منظـمـاً وهـادفاً . وهـل يكفي اللجـوء الى التحـريض الاقتصـادي ، كي يفهم كل الشعب الـذي يعاني من ويلات الاستغلال والارهاب والتمييـز وكـل مظـالم الرأسمالية ، ان الطبقة العاملة وهي تناضل من اجل مصالحها فانهـا تنـاضل بنفس الدرجة من اجل مصالح غالبية الشعب العظمى . هناك جوانباً عديـدة غير المظـالم الاقتصـادية يمكن ويجب ان يشن التحريض والتشهير السياسي من خلالـه ، ان معـاملة الجنـود ، ارهـاب الفـلاحـين ، ملاحقـة الشيع الدينية ، الاضطهـاد القـومي ، قمـع مسـاعي الشعب ، ملاحقـة المثقفـين المتنورين ، كل مظـاهـر التمييـز والاستغـلال والظلم لاتقـل اهميـة من حيث كونهـا مادة للتحريض السياسي ، عن التحريض من خلال النضال الاقتصادي . ودون اللجوء الى هذه الـوسـائل مجتمعة ، كيف يمكن للعمال ان يفهموا ليس فقط انفسهم كطبقة مستقلة لها رسـالـة تاريخيـة انيطت بها من قبـل حركـة التطور التاريخي ذاته ، وانما ايضاً انهم طبقـة تتـوجد في علاقات عضوية مع طبقات وفئات اخرى ، وانها يجب ان تقود كل

هذه الطبقات والفئات ضد البرجوازية «ان الاشتراكية ـ الديمقراطية الثورية قد ضمنت نشاطها وتضمنه على الدوام النضال من اجل الاصلاحات . ولكنها تستخدم التحريض «الاقتصادي» لا بمطالبة الحكومة بمختلف الاجراءات وحسب ، بل لمطالبتها كذلك (وقبل كل شيء لان تكف عن ان تكون حكومة استبدادية . وهي عدا ذلك ، ترى من واجبها ان تقدم للحكومة هذا الطلب لا على صعيد النضال الاقتصادي وحسب بل كذلك على صعيد جميع مظاهر الحياة السياسية الاجتماعية بوجه عام . انها بكلمة تخضع النضال من اجل الاصلاحات ، بوصفه جزءاً من كل للنضال الثوري من اجل الحرية ومن اجل الاشتراكية .» *

ويجب على الحزب الثوري . ان لا يقوم على تربية العمال ، بأن الاصلاحات الاقتصادية هي اعز شيء على قلب الحزب ، بل يجب القيام بعكس ذلك وبيان ان البرجوازية لاتجد كبير ضير في تقديم التنازلات الطفيفة في الجانب الاقتصادي ـ اي تحسين طفيف مثلا في الاجور ـ ذلك ان هذا الامر من صلب السياسة البرجوازية ازاء العمال ، وله هدف محدد هو محاولة امتصاص نقمة العمال ، وتمييع وعيهم الطبقي . ان البرجوازية لايمكن ان تحتمل اي مطلب عمالي سياسي اذ سوف تواجه مثل هذا المطلب بالعنف المباشر ، لكنها مستعدة لان تقدم «كل» التنازلات «الاقتصادية» التي يحلم بها الانتهازيون .

يقول لينين ان البحث عن نضال اقتصادي يبعث الامل بنتائج حسية ملموسة للعمال ، كما يردد الانتهازيون ، هو تفاهة صارخة ، ان لم يقترن ذلك بهدف عمالي سياسي ، وسياسي دائماً وابداً . فهل يقضي الحصول على بعض النتائج الملموسة في النضال الاقتصادي ان لا ترفع الطبقة العاملة صوتها الى جانب مظاهر احتجاج طلابي مثلاً ، وكيف يمكن ان تكتفي الطبقة العاملة بفتات موائد البرجوازية وتنسى مظالم الفلاحين وبشاعات التمييز المذهبي والديني ، واساليب البطش

---

* المصدر السابق ص ٦٦ التشديد للينين

والارهـاب ، وسيـاسة الافقار الشامل ؟ لكي يقوم الحزب الثوري بدوره الطبقي ، عليـه ، في حالـة معـالجة قضية البطالة مثلاً ، ان يوضح للعمال ولكل الشعب ، ان البطالة شيء ملازماً للرأسمالية ، بدل ان يكتفي بمطالب ذليلة تقول ان على ارباب عمل كذا مؤسسة ان لايرموا «عمالهم» الى الجوع !!

كيف يمكن تنظيم التشهـير السيـاسي ضد الـبرجـوازيـة وتـربية نشاط الجماهير الثوري من خلال هذا التشهير ؟

يجيب «الاقتصـاديـون» كالعـادة ، بـ «التحـريض السيـاسي على الصعيـد الاقتصادي» كما يقول لينين ، انه يمكن فعلاً رفع مستوى نشاط ووعي العمال فقط من خلال عدم استخـدام التحـريض الاقتصـادي لوحـده ، فلا يمكن ان يكـون وعي العـمال وعيـاً طبقيـاً سيـاسيـاً اذ لم يتعود العمال الرد على كل حالة من حالات الطغيـان والظلم والعنف وسـوء الاستعمال ، على اشكالها وبصرف النظر عمن تقع عليـه هذه المظـالم ، وبالطبع فان التشهير السيـاسي بالمظالم يجب ان يكون من وجهة نظـر الحـزب الثـوري ، ومستحيـل من النـاحيـة العمليـة ، تنظيم النشاط الثوري والتشهـير السيـاسي دون ان يتعلم العمال الاستفادة من الوقائع والحوادث السيـاسية الملمـوسة ومـراقبـة كل طبقـة من الطبقـات وسلوكهـا الاجتماعي والسيـاسي وحتى الاخـلاقي ، اي يجب على العـمال ان يتعلمـوا تطبيق التحليل المادي «لجميع اوجه نشـاط وحيـاة جميع طبقات السكان وفئاتهم وجماعاتهم» * وكل من يوجه وعي العمال نحو انفسـهم فقـط ليس بثـوري لان معـرفة الطبقة العاملة لنفسها مرتبطة بمعرفتها «معـرفـة واضحـة تامة للعلاقات المتبادلة بين جميع طبقات المجتمع الراهن ، معرفة نظرية وحسب . . . بمقدار ماهي مبنية على تجربة الحياة السياسية» **

وكي يكـون العـامـل ثوريـاً اشـتراكيـاً حقـاً ، عليـه ان يعـرف اسـماء وتقاطيع الـبرجـوازي والفلاح والطالب والمالك العقاري ، وان يعرف ماهي المؤسسات التي تعكس مصالح هذه الطبقة او الفئة او تلك .

---

* نفس المصدر السـابق ص ٧٤

** نفس المصدر ص ٧٤

وان يحسن فهم كل تلك الافكار التي تخفي فيها الطبقات الرجعية مصالحها ودخيلتها السياسية الحقيقة ، وان ينظم التحريض والتشهير السياسي على اوسع نطاق وبما يشمل جميع الميادين ، لان ذلك هو الشرط الاساسي لتربية نشاط الجماهير الثوري .

ان حث الجماهير على العمل وتوجيه النداءات اليها من اجل ذلك يتطلب التشهير الفوري بكل مسألة ، اي قضية تفضح مظالم النظام ، فالنداء في هذه الحالة الموجه للجماهير سوف يأخذ صيغة النشرة ، والمنشور ، والصحيفة ، كما يأخذ شكل العمل المباشر بين صفوفها وتحريضها وتبيان وجهة نظر الحزب الثوري وما هو التكتيك الناجح وكيف تحتم قيادة الجماهير في ساحة المعركة الطبقية والتعلم منها وتعليمها من تجربتها نفسها .

فالنداءات الثورية بمعزل عن العمل والنشاط الملموسين اللذين يقوم بهما اعضاء الحزب الثوري الموجودين في مختلف الطبقات والفئات والمهن في الريف والمدينة ، سيتحول الى مجرد صراخ في صحراء . وتتطلب طبيعة الامور ذاتها ان يتقن الداعية والمحرض والمنظر السياسي ، فن العمل بين كل طبقة وفئة ومجموعة ناس في مهنة معينة ، وان يدرس بشكل واقعي المحيط الاجتماعي الذي ينشط فيه ، عاداته تقالده ، ماهو ايجابي ، وماهو سلبي ، من اين يجب البدء في التحريض لاستشارة هذه الفئة ، اوتلك ، وكيف يمكن اقناع الفلاح ،والطالب والبرجوازي الصغير ، ماهي القضايا التي تهم هذه الفئة او تلك ، وكيف يجب ان يتم الربط بين جميع القضايا الجزئية المحلية في سلسلة واحدة من النشاط السياسي المتبلور باهداف وشعارات واقعية وصحيحة .

ان تربية الجماهير من خلال النشاط الثوري ، لايمكن ان تتم من خلالل صيغ جامدة محفوظة في رؤوس اناس يدعون الثورية ، ولايجدون في احسن الاحوال سوى الصراخ والزعيق عن «التحريض الاقتصادي» وعن اهداف صغيرة ، يجب بعد تحقيقها ، ان تنسى الطبقة العاملة مهمتها الاساسية ، اي صناعة الثورة ، وتمهيد التربة امامها في كل ميدان .

على رغم وجـود فوارق ظاهـرة بين التيـار «الاقتصـادي» اليميني ، والارهـابيـة اليسـاريـة الصبيانية ، فان ثمـة ماهـو مشـترك بينهما «الاقتصادية» تدعو العمال الى النشـاط الاقتصادي لتحقيق «نتائج حسية» وتقول للعمال عليكم بمصالحكم الانية فقـط ولنـترك السيـاسة للمثقفين اصحاب النظريات انها بتقديسها العفوية ، ترتبط بحذر واضح مع الحركات الارهابية .

وبالطبع قد يبدو في الامر شيء من التناقض ، فكل جهة تقدس عجلها الخاص اذا صح القـول لكنـه العجـل الذهبي في الحالتين «الاقتصادية» تعيد الحركة العمالية الصـرف العفـوية . اما الارهابية فتعيد عفوية سخط المثقفين وانفجاراتهم المدوية ، والذين لايعرفون كيف يربطون بين العمل الثوري وحركة الطبقة العاملة .

«الاقتصاديون» يدعون العمال للحصول على «مكاسب» بقواهم الخاصة ويقوم المثقفون بالنشاط السياسي بقواهمك الخاصة ايضاً !

يقـول لينـين ان الـواقـع الاجتمـاعي ، ضخم بالمسـاوىء ، وان الامر لايقتضي اختـراع وسـائـل خاصة «للتهيج» كما يزعم الارهابيون فالذي لايهتاج من كل المظالم والمساوىء ، سوف ينظر الى المبارزة بين الدولة وحفنة ارهابين وهو ينكش انفه» !

ان النشـــاط المسلح ، يختلف بالطبــع عن الارهـاب الفـردي المنعـزل ، في ان الكفـاح المسلح لايستثني كل اشكـال التحـريض السيـاسي الاخـرى ، بل يتـلازم معها ، بصلة عضوية تكاملية .

الطبقة العاملة مناضل طليعي من اجل الديمقراطية

ان تنظيم التشهـير السيـاسي الشـامـل ، ضرورة ملحـة ، بل هو مهمة النشاط الاكثر الحاحاً . الا ان طرح المسألة بهذا الشكل فقط سيكون ضيقاً مالم تؤخذ مهام الـبر وليتـاريـا الديمقراطية بعين الاعتبار . فالمهام الديمقراطية العامة تواجه الطبقة العاملة وحزبها .

ان الـوعي الطبقي لايمكن حمله الى العـامـل الا من الخـارج في ميدان علاقات

جميع الطبقات وعلى سؤال ماذا ينبغي لحمل المعرفة السياسية الى العمال لايمكن الاجابة فقط بجملة «التوجه الى العمال» فكي يحمل الحزب الوعي السياسي للطبقة العاملة ينبغي له التوجه الى جميع طبقات السكان . اي ان يرسل الحزب فصائل جيشه الى جميع الجهات .

فالحزب يحتاج الى اعضاء وكوادر ومحرضين ودعاة ومنظمين من ابناء هذه الطبقات . وبما ان ميدان نشاط وصراع الطبقة العاملة وحزبها هو ميدان شامل لكل الطبقات فان من واجب الحزب ان يجد له جذور بين صفوف كافة الفئات والمجموعات ، وكي يثبت انه طليعة حقيقية للعمال والجماهير الشعبية يجب ان يقود الجماهير حقاً ، من خلالها ، بتربية مناضلين اشداء من صفوفهم ، وبدفاعه عن مصالحهم الانية والمستقبلية ، وبهذا فقط ، ومن خلال الهمة في النشاط الثوري يستطيع الحزب القول انه طليعة ليس للعمال فحسب بل لكل الجماهير فالثورة عملية شاملة ، حزب تشترك فيها جميع فئات السكان وعلى الحزب ان يجيد جيشه من كل الطبقات دون استثناء ، ان اقصى نجاح يمكن تحقيقه هو ان ينجح الحزب في افتراق الطبقات الحاكمة ، وفي كسب فئات منها ، او على الاقل تحييد بعض فئاتها .

على الحزب كما يقول لينين ، عدم الاستنكاف من النشاط في داخل قلاع العدد ذاته . بين ابناء الطبقة التي تحكم ، وفي مؤسسات الدولة التي اقامتها . وهو في هذا سوف يدافع ، من وجهة نظره ، ليس فقط عن العمال والفلاحين والطلبة والشبيبة والنساء وشتى الفئات والمجموعات ويقاوم عسف النظام ضدها ، بل ايضاً انه لن يستنكف من الدفاع الى جانب برجوازي ليبرالي ضد برجوازي متشدد ، وعلى الحزب ان يبذل قصارى جهوده من اجل تعميق التناقضات الثانوية بين فئات البرجوازية الحاكمة ذاتها . وبالطبع فان مهمته الاولى هي الدفاع في ارض المعركة عن مختلف فئات الجماهير الشعبية وصياغة وعيها وشعاراتها وقيادتها في النضال .

كان الانتهازيون يصرخون حول ليبرالية «الايسكرا» التي كتب فيها لينين واضيع تتعلق بدعم فئات سياسية برجوازية ليبرالية ضد النظام القيصري ومخلفاته الاقطاعية . واجاب لينين عن تلك الصرخات بان الثوريين يجب ان لايخافوا من

هذه الصرخات الجوفاء ، فدعاة الاستقلال الذاتي للطبقة العاملة ، والنضال فقط من اجل الطبقة العاملة ، وبين صفوفها فقط ، هم الد اعداء قضية الطبقة العاملة الثورية .

فالتيارات اليمينية في حركة الطبقة العاملة ، لاتستطيع ، ولايمكن لها ان تفهم النشاط الثوري خارج «العمل الحرفي» انها بتضييقها لنطاق النشاط الثوري ، تضيق في نطاق العمل الثوري كله بوجه عام . في حيث انه ، كما يقول لينين لايمكن تصور قيام منظمة للثوريين ، اي حزب طليعي حقاً دون ان يكون قادراً على التخلي عن العمل الحرفي ، والامتداد بين السكان وتأمين القوة والثبات والاستمرارية للنضال السياسي . وبدون ذلك سيقف الحزب في ذيل الاحداث ، وقد يشكو من العفوية الجماهيرية اويقدسها لكنه في الحالتين لن يستطيع قيادة الجماهير فعلاً . ان اطلاق كل قوى الحزب الثوري العملاقة يتطلب «ان تستقبل كل محاولة من محاولات الهبوط بمهامنا السياسية وتضييق نطاق عملنا التنظمي بيسمة سخرية واحتقار» *

ان التكتيك بصدد هذه المسألة اوتلك يمكن ان يتغير خلال ٢٤ ساعة ، كما يقول لينين ، لكن لايدعو الى تغيير السياسة التنظيمية للحزب بين ليلة وضحاها سوى اولئك الانتهازيين المولعين بالعمل الحرفي فتغيير ما ، في منظمة حزبية معينة ، تفرضه ظروف ملموسة للنشاط الثوري ، اوتفرضه هجمات الشرطة ، لايعني ان على الحزب ككل ان يغير من نظرته لمهامه الاساسية ، على الحزب ان يبني عموده الفقري ، المكون من اناس محترفين للنشاط الثوري ، من ابناء الطبقات والفئات .

الاستمرار وتوسيع نشاطه السياسي وهي :

١ ـ لايمكن ان توجد اية حركة ثورية وطيدة بدون منظمة من القادة ثابتة تحافظ على الاستمرارية .

٢ ـ بمقدار مايتسع الجمهور. الذي ينهض بصورة عفوية الى النضال والذي يؤمن

---

* لينين : المصدر نفسه ـ ص ١١١

قاعدة الحركة ويساهم فيها ، تشتد الحاجة الى مثل هذه المنظمة وينبغي لها ان تكون اوطد والاسهل بنفس المقدار على كل ديماغوجي التقرير بفئات الجمهور المتاخرا .

٣ - ينبغي لهذه المنظمة ان تتألف بصورة رئيسية من اناس يجعلون من النشاط الثوري مهنة لهم .

٤ - بمقدار مانضيّق في بلادنا يسودها الاستبداد ، قوام اعضاء هذه المنظمة بحيث لايشترك فيها غير الاشخاص الذين جعلوا من النشاط الثوري مهنة لهم والذين تدربوا تدريباً مهنياً على فن النضال ضد الشرطة السياسية ، تزداد صعوبة «اصطياد» هذه المنظمة .

٥ - يزداد عدد ابناء الطبقة العاملة والطبقات الاجتماعية الاخرى الذين تتاح لهم امكانية الاشتراك في الحركة والعمل النشيط فيها . *

ان انشاء حزب ثوري من الطراز الجديد ، والمحافظة على ديمومته في النضال ، تستلزم اساليب لحماية ذلك القسم من اعضائه الذين يحترفون العمل الثوري ، وليس ثمة امكانية اخرى للحفاظ على هؤلاء وزيادة اعدادهم باستمرار غير اللجوء الى اساليب العمل السري في ظروف الاستبداد . لقد اخذ الانتهازيون على لينين دعوته لانشاء منظمات حزبية سرية ، بالصراخ ان ذلك يعزل الحزب على الجماهير . وقد سخر لينين من هذه الافكار ان اساس وقاعدة حركة الحزب متوفرة اي الجماهير الساخطة والمستعدة للانخراط بدرجات متفاوته في النضال ضد النظام القائم . ان الحزبيين ينشطون وسط الجماهير ولابد من اختيار نشطاء من هؤلاء لتنظيم النشاط الثوري بين السكان ، بصورة سرية وعلنية ، وذلك لن يغير من واقع انغمار الحزب وسط الجماهير ، بل في الحقيقة يؤمن امكانية استمرار وجوده رغم كل اساليب العدو الطبقي . وعن هذا الطريق فقط سوف يتصلب عمود الحزب الفقري ويزداد عدد الناس الذين يحتفون النشاط الثوري وينضمون الى قوام الحزب الاساسي .

---

* لينين : نفس المصدر - ص ١٢٨

كانت التيارات الانتهازية في حركة الطبقة العاملة الروسية تشكو دائماً من قلة الاشخاص الصالحين للعمل الثوري . وقد عارض لينين هذه الدعوات ، بالقول ان المجتمع يقدم عدداً كبيراً جداً من الناس الصالحين للعمل الثوري والقادرين عليه ، واذا هناك نقص ما ، فان هذا النقص موجود في عمل الحزب التنظيمي وليس في الجماهير . ان عدم وجود قادة سياسيين أو قلتهم ، وقلة المنظمين الموهوبين ، ضعف الهمة الثورية ، تقديس العفوية ، وعبادة العمل الحرفي ، هي الامراض التي تولد الاحساس بنقص الاشخاص القادرين على العمل الثوري . وبالمقدار الذي ينجح فيه الحزب ، بتطبيق اوسع سياسة تنظيمية صائبة ودقيقة ، تصبح هذه الشكوى الانتهازية مجرد نكتة . ان النظرية الفقيرة القائلة بالنضال « الاقتصادي ضد ارباب الاعمال » لا يمكن ان تنتج وتدرب وتربي قادة ثوريين ونشطاء من الدعاة والمحرضين من ابناء الطبقات الشعبية . انها في افضل الاحوال ، قد تنتج منظمة صغيرة ، يمينية أو يسارية ، يتاح للشرطة السرية تفتيها في غالب الاحيان . ان سعة العمل التنظيمي للحزب من خلال التوجه لكل الطبقات ، وسيوفر ذلك ، كما يقول لينين لدى الحزب عدداً كبيراً جداً من الناس الذين يحترفون العمل الحزبي ، ومن اولئك الذين يقدمون خدمات معينة للحزب ، دون ان يصبحوا محترفين ، ان قاعدة هؤلاء الاخيرين قد تتسع بحدود كبيرة جداً . واتساعها يمكن الحزب من تنظيم عملية الاختصاص داخل الحزب . ويجب ان يولي الحزب ، كما يقول ، اهمية لمسألة تربية الكادر العمالي داخل الحزب ورفع مستواه والاخذ بيده كي يكون ثورياً محترفاً « يسعى للارتفاع الى هذا المستوى ويعمل ليجمع في نفسه معرفة البيئة العمالية وطراوة العقائد الاشتراكية مع التدريب المهني الذي لا يمكن للبروليتاريا بدونه ان تقوم بنضال عنيد ضد اعدائها المدربين على خير وجه » * . وعندما تصبح لدى الحزب فصائل من الثوريين المعدين

---

* لينين : المصدر نفسه ـ ص ١٣٧ ـ التشديد للينين

اعـداداً خاصـاً والـذين اجتـازوا مدرسـة النضال ، واصبحوا اختصاصيين من كافة الاسلحة ، كما يقول لينين ، عندئذ لا يمكن لاية شرطة سياسية في العالم ان تتغلب على هذه الفصـائـل لان هذه الفصـائـل مكـونـة من « اناس مخلصين للثورة منتهى الاخلاص ستتمتع ايضاً بثقة لا حد لها بين اوسع جماهير العمال » * .

المنظمة « التآمرية » و« الروح الديمقراطية »

دأب الانتهـازيـون على اتهـام لينـين والجنـاح الثـوري في الحـركة الاشتراكية ـ الـديمقـراطيـة الـروسية ، بانهم في تشديدهم من اجل بناء حزب ثوري ، يعملون على بنـاء منظمـة ارهـابيـة لمجمـوعـة من المحـترفـين . اجـاب لينين على مفاهيم الانتهـازيـين بالتأكيـد ان المنظمة الثورية الحديدية ، التي تتبع بدقة اساليب العمل السري ، وتهتدي بالنظرية العلمية لا علاقة لها ، بالمفهوم التآمري للنشاط السياسي .

« لقد وقفنا وسنقف على الدوام طبعاً في وجه حصر النضال السياسي في نطاق التـآمـر » ** وازاء تأكيـدات لينـين حول الضـرورة الحيـويـة لبنـاء الحزب من طراز جديـد ، فان الانتهـازيـين اشهـروا عدة اعـتراضـات اولها تقول ان المنظمة الثورية القـويـة جداً وهي تجمـع في يديهـا جميع خيوط النشاط السري وتقوم بالضرورة على المركزية ، لها ان تندفع بسهولة الى الهجوم قبل الاوان ، أي انها تبادر الى الهجوم في وقت غير ملائم . وعن ذلـك قال لينـين ، انـنـا اذا تحدثـنـا بصـورة مجردة فان هذا الاحتـمال قائم فكـل معـركـة من النـاحية التجريدية تنطوي على احتمال الهزيمة : « وليس هناك وسيلة لتقليل هذا الاحتمال غير الاستعداد للمعركة بصورة

---

* لينين : المصدر نفسه ص ١٣٨

** لينين : نفس المصدر ص ١٣٩ ـ ١٤٠

منظمة » * لكن الامر لا يتعلق بمناقشات مجردة . ان المنظمة الثورية الجديدة من شأنها ان تؤمن للحركة طابع الثبات والديمومة وتقيها الضربات من العدو . وفي حالة نمو الحركة العفوية للجماهير في روسيا كما كان الحال في مطلع القرن العشرين ، فقد ظهرت في الحركة الثورية اتجاهان يشتركان بقطب واحد . فمن ناحية تيار « اقتصادي » يميني يبشر بالاعتدال ، ومن ناحية اخرى تيار ارهاب « تهيجي » يضاهي الاول في الوهن ، ذلك انه يسعى الى الاثارة المصطنعة . ان حزباً ثورياً متمركزاً ينتهج سياسة صائبة هو وحده القادر على حفظ الحركة من الهجمات الطائشة وعلى تحضير هجوم يبعث على الامل بالنجاح .

واذ يصرخ الانتهازيون بحجتهم الثانية ضد تكوين حزب ثوري ، بترديد الاقوال ، حول ان الحزب سوف يكون منظمة لا ديمقراطية فيها ، بحكم المركزية وقواعد العمل السري ، فان لينين سخر من هؤلاء المولعون بالديمقراطية البرجوازية . قائلاً : ان الديمقراطية التي يطالب بها هؤلاء في ظروف الاستبداد السائد في روسيا ، تساوي الخيانة . فمن اجل تحقيق مطالب هؤلاء على الحزب ان يكون علنياً اولاً ، وثانياً ان يكشف كل احشائه امام اجهزة الاستبداد . ان الدعوة لديمقراطية واسعة داخل الحزب ، في ظل نظام ارهاب شامل ، هي لغو فارغ ، لان الحزب او المنظمة الثورية لا يمكنها ان تمارس هذه الديمقراطية الواسعة ، الا اذا افترضنا انها تنوي الانتحار من اجل كلمات طنانة عن الديمقراطية !

لقد قدم لينين صيغة اكثر من الديمقراطية التي يدعو لها هؤلاء اذ قال : « ان المبدأ التنظيمي الجدي ينبغي ان يكون بالنسبة للعاملين في حركتنا : المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري والاختيار الدقيق للاعضاء واعداد الثوريين المحترفين . فاذا ما وجدت هذه الصفات حصلنا على شيء اكثر من « الديمقراطية » حصلنا بالضبط على الثقة الرفاقية التامة بين الثوريين » ** .

وبالطبع فان منظمة الثوريين الحقيقية ليس لها ان تحجم عن بتر أي عضو فاسد

---

* لينين : نفس المصدر ص ١٤١

** نفس المصدر ص ١٤٥

قد يوجد في داخلها ، ومعالجة كل اوجه النقص في عمل المنظمة الثوري يجب ان يتم وفق الاسس التنظيمية للحزب الثور ي وليس بالدعوة ، الى التخلي عن هذه الاسس .

العمل في النطاقين : العام والمحلي

وضـع الانتهـازيـون تعارضاً مصطنعاً بين العمل في النطاق المحلي ، أي في هذه المدينة او تلك ، وبين العمل والنشاط الثوري على النطاق العام في روسيا . وهم في ذلك يواصلون الهجوم على قضية بناء الحزب . اذ يزعمون ان المركزية ووجود قيادة عليـا للحـزب وجـريـدة مركزية تعني ، ان علاقات الحزب بالجماهير سوف تضعف بالمنـاطق وقـدرتـه على التحـريض والتنظيم سوف تتأثر . وضرب لينين في الرد على هذه الافكـار بمثـل ملمـوس عن وضع الصحافة الثورية في روسيا آنذاك ، وبين انه خلال عامـين صدرت (٣٠) صحيفـة محليـة ، معدل اصدار كل صحيفة كان مرة واحـدة في (٦) اشهـر ، من جراء الصعـوبـات السيـاسية والمالية وقلة الكادر وغير ذلـك . وان التشبث بالجـرائـد المحلية ووضعها في تعارض مع الصحيفة المركزية ، يعني بالتحـديـد محاولـة لعـدم تعميم الوعي السياسي الشامل ، اذ تعجز الصحف المحليـة ان تضمن الثبـات المبـدئي وان ترتفع الى مستوى جريدة سياسية . « ليس بمستطاع اية منظمة محلية ان تجمع المواد الكافية وان تستفيد منها لالقاء الضوء على حيـاتنـا السياسية كلها » * ، ان مصلحة الحركة ككل : أي تربية العمال والجماهير تربية سياسية اشتراكية رفيعة لا يمكن ان تأتي من جرائد محلية ، تقوم فقط بفضح وتعـريـة النظام في اطار عملها المحلي . اما الجريدة المركزية فانها ستكون قادرة على جمع كل اشكال المظالم والفضائح المحلية ووضعها في لوحة النظام الكاملة مع تأمين جانب التـر بيـة السيـاسيـة الاشتراكية الحقيقية بعيداً عن ضيق الافق المحلي . وقد اوكـل لينـين مهمـة التحـريض في المصانع ومحلات السكن الى المناشير . فبواسطة

---

* نفس المصدر ص ١٤٩

المناشير يمكن فضح اية قضية محلية مباشرة وهي حارة ، اي اثناء وقوعها . ان الجريدة المركزية ، هي بمعنى ما ، الحزب ذاته ، انها محرض وداعية ومنظم جماعي . وهي تستلزم معلومات جديدة ومتنوعة يجمعها ويدرسها اشخاص خبراء في مهنتهم . وذلك يتطلب هيئة اركان من كتاب اختصاصيين ، ومراسلين ، جيشا من المراسلين الثوريين يعقدون « الصلات في كل ناحية ويحسنون التسلل الى جميع « اسرار الدولة » على اختلافها . . والتغلغل في جميع الكواليس » * .

ان انتشار الجرائد المحلية قبل صدور جريدة مركزية قد ـ كما يقول لينين ـ سببه امران ، الاول فقر الحركة الثورية وبدائيتها ، او انه الدليل على بذخ غير مبرر اذا افترضنا ان هناك جريدة مركزية تقوم بمهمة التحريض السياسي الشامل . ان الذي يقرر عدد وضرورة الصحف المحلية ، الى جانب الصحيفة المركزية هو الوضع الملموس للحزب وامكانياته في تأمين مستلزمات اصدار هذه الصحف من محرريها الى تكاليفها المالية الى تأمين مطابع سرية . . الخ .

٤ـ مشروع جريدة سياسية لعامة روسيا

ارتبط نقاش الانتهازيين مع التيار الثوري في روسيا ، آنذاك بمسألتين ، العمل ضد قيام حزب من طراز جديد ، وبالنتيجة ضد اصدار جريدة مركزية لهذا الحزب .

وكانت حججهم ضد اصدار صحيفة مركزية ، عديدة ، لعل اهمها هو الزعم ان وجود هيئة تحرير مستقلة للجريدة المركزية ، يعني نسف المنظمات الحزبية ويعني تحويل هذه الهيئة الى رقيب عام على الحزب . وكانت مخاوف هؤلاء تقوم على قاعدة معارضة المركزية ، أي وجود قيادة تمثل رأس الحزب ، ذلك انه من البديهي ، والمعروف ان هيئة تحرير الجريدة المركزية ، هي اقرب حلقة الى قيادة الحزب ، من

---

* المصدر نفسه ص ١٥٣

كل الحلقـات الاخـرى في جسم الحـزب . وقـد وصـل الامـر بحـزب « البولـد » اليهودي ، اتهام لينين بانه من خلال دعوته لجريدة لعامة روسيا ، يريد نسف الحزب ذاتـه ! . وزعمت الجـاهـات انتهازية اخرى انه لا يمكن اصدار صحيفة مركزية في الحال القائمة في المنظمات الثورية الروسية آنذاك ، اذ يسودها الضعف ، وان المهمة الاولى هي تربيـة منظـمات محليـة قويـة وليس اصدار الجريدة . ورداً على ذلك قال لينـين ، انـه صحيـح كل الصحـة ، ان نركـز الانتبـاه على بناء منظمات محلية قوية « ولكن المصيبة كل المصيبة تكمن في عدم وجود طريق لتربية منظمات سياسية قوية غير طريق جريدة لعامة روسيا » *

لقـد اجـاب لينـين على سؤال هل يمكن ان تكون الجريدة منظماً وداعياً ومحرضاً جماعياً ، بالايجاب .

« الجريدة ليست فقط داعية جماعياً ومحرضاً جماعياً بل هي في الوقت نفسه منظم جماعي . ومن هذه النـاحيـة الاخيرة يمكن ان تقارن بالشعارات التي تنصب حول بنـايـة يجري تشييـدها فتشير الى معالم البناية وتسهل الاتصال بين البناة وتساعدهم على توزيع العمل بينهم وعلى رؤية مجمل النتائج التي احرزها العمل المنظم »** .

يستلزم النشاط الثوري ايجاد الصلة بين كل المدن وكل الارياف ، وليس التقوقع في مصنع واحدة أو حي ، أو مدينة ، والحديث في الصحف المحلية ، عن تفاهات صغـيرة ، ان النـاس تعيش في منـاطقها وكأنها في اقبية تعرف ما يجري حولها فقط في منطقتها ، لكن من اين لها ان تعرف ما يجري في كل الاحياء في مدينتها وكل المدن وكل القرى وفي عامة البلاد ، دون جريدة توحد كل هذا وتقدمه للجماهير ، حيث ستكـون الجـريـدة هي الصلة الفعليـة بين الحـزب واوسـع الجـماهير في طول البلاد وعـرضهـا . وعلى المنظـمات الحـزبيـة المحليـة ان تعـزز كادرها المتخصص في مجال

---

* نفس المصدر ص ١٦٥

** نفس المصدر ص ١٦٩

النشاط العام ـ اي النشاط في اطار الوضع العام في البلاد ـ وستقوم الجريدة المركزية بتوضيح الطريق امام المنظمات المحلية ، للارتفاع بمستوى التحريض والتنظيم والدعاية الى مصاف سياسة عامة تشمل البلاد جميعها . فالفلاح الذي يرى جريدة محلية تكتب عن مظالمه فقط ، سوف لن يستفيد اكثر من انه قرأ ما يعيشه على الورق . يجب ان يعرف هذا الفلاح ان ملايين الفلاحين الاف القرى في البلاد تتعرق الى ما يتعرض له هو ، وان الامر يستلزم اتحاد جميع الفلاحين مع المضطهدين الاخرين ، العمال والشغيلة من اجل اجتثاث المظالم والارهاب من جذورها . اي القيام بعملية تثوير سياسية واسعة تشمل كل فئات الناس وطبقاتهم .

ان الثورة عملية فيها تعقيد ، واوجه متعددة ، حية وذات غنى كبير في التفاصيل . وتتسم العملية الثورية بوجود مراحل ايضاً في خط تطورها ، وفي كل الاحوال لا يمكن الاستغناء عن المنظم والداعية والمحرض الجماعي ، اي الجريدة المركزية ، لانها في الاوقات العادية ، اوفي حالة الانفجارات الثورية ، ستعين الطريق الصائب امام الجماهير وتأخذ بيدها في كل ارجاء البلاد . ان مشروع جريدة مركزية كما يقول لينين هو مشروع عملي جداً « يعطينا امكانية الشروع من جميع الجهات وعلى الفور بالاستعداد للانتفاض دون ان ننسى في الوقت نفسه ولو للحظة عملنا اليومي المعتاد » *

* * *

* نفس المصدر ص ١٨٣

مؤلف لينين «خطوة للامام خطوتان للوراء»

مبادىء بناء الحزب من طراز جديد

والنضال ضد الانتهازية في التنظيم

كتب لينين مؤلفه «خطوة للامام خطوتان للوراء» عام ١٩٠٤ ، عقب انتهاء اعمال المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي .

وبالاستناد الى محاضر هذا المؤتمر ووثائقه ، واصل لينين المهمة التي كرس لها مؤلف «ماالعمل» الصادر عام ١٩٠١ ، تلك هي تطوير المفاهيم الماركسية بشأن الحزب البروليتاري ووضع مبادىء التنظيم بالتلازم مع النضال ضد الانتهازية اليسارية واليمينية وشتى الطرق والافكار غير الثورية في الحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية أنذاك .

تجدر الاشارة الى ان المؤتمر الثاني للحزب عقد في بروكسل ثم انتقل الى لندن على اثر قيام الشرطة البلجيكية بملاحقة بعض مناضليه ومن المعروف انه في المؤتمر الاول للحزب جرى اتفاق بين كافة الفرق والتنظيمات الاشتراكية ـ الديمقراطية ، التي توحدت في اطار حزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي . لكن هذه الفرق حملت معها الى الحزب كل افكارها الانتهازية وميولها الطبقية البرجوازية الصغيرة .

وقد انبثق عند المؤتمر الاول للحزب الذي ساهمت فيه اربعة منظمات «المجلس العام لممثلي لجان ومنظمات حزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي» وكان نفوذ منظمة «الايسكرا» التي يقودها لينين كبيرا داخل المجلس العام . الا انه في هذا

الوقت كانت الحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية ككل بعيدة عن كونها بلشفية ، فهذا الامر الاخير حصل في فترة لاحقة في المؤتمر الثالث للحزب ١٩٠٥ حيث اقرت المبادىء والاسس اللينينية في التنظيم ومن المفيد معرفة الظرف والتنظيمات التي اشتركت في اعمال المؤتمر الثاني وهي : منظمة «الايسكرا» و «اتحاد الاشتراكيين ـ الديمقراطيين الروس في الخارج» ومجلتهم كانت تدعى «رابوتشيية ديلو» وفرقة «يوجني رابوتشي» التي كانت تصدر صحيفة بنفس الاسم . و «الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا البوند» وفرقة اخرى باسم «بوربا» ـ النضال ـ التي لم تشترك في المؤتمر كفرقة بل اشترك افراد منها وقد حلت بقرار من المؤتمر الثاني .

وفي كتابه «خطوة للامام خطوتان للوراء» انتقد لينين بحزم ثوري الانتهازية في مجال التنظيم ، وهو بذلك اكمل عملية الاجهاز على التيارات الانتهازية في الحركة العمالية الروسية ، ففي كتابه «ما العمل» فضح لينين الاسس الفكرية وطبيعة الدعاوى السياسية لهذه التيارات ، اما في كتابه هذا ، فقد ارسى نهائيا ، اسس التنظيم الماركسية الثورية في الحزب الطليعي . وجرت هذه العملية في مجرى النضال الحاد داخل المؤتمر الثاني للحزب وفي الفترة التي اعقبته ضد وجهات النظر الانتهازية والبرجوازية الصغيرة اليمينية واليسارية فيما يتعلق ببناء الحزب واسسه .

طبيعة الازمة في الحزب

خلال المؤتمر الثاني برزت تفاصيل كاملة لطبيعة الازمة في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ويمكن القول ان الازمة من حيث الجوهر كانت «عبارة عن صراع بين الجناح الثوري والجناح الانتهازي في حزبنا» * لكن هذا الصراع الذي نشب منذ فترة مبكرة ، مر بمراحل مختلفة ، تميزت كل مرحلة من مراحله بميزات معينة . ففي الوقت الذي شيعت «الاقتصادية» في المؤتمر الاول لحزب الى قبرها ، بقيت جملة من القضايا السياسية والتنظيمية مدار صراع غير

---

* لينين : خطوة للامام خطوتان للوراء ـ دار التقدم موسكو ـ ١٩٧٠ ص ٢٩٠

محسوم ، وظهر في هذا الصراع ، ثلاثة اتجاهات رئيسية ثوري ووسطي توفيقي وانتهازي مفضوح . وكانت هذه لوحة التيارات في المؤتمر الثاني . وبالطبع جرت عملية الصراع داخل المؤتمر وخارجه بطرق متعرجة ، كانت فيها الاطراف المتصارعة تشن هجمات هنا وهناك ، لكن بالمقدار الذي كانت تبدو فيه هذه الهجمات منفردة فقد كانت بمثابة معارك في اطار حرب شاملة على حد تعبير لينين .

يشير لينين الى اهمية المؤتمر الثاني ، باعتباره حدثاً فريداً من نوعه ، استطاع حزب ثوري سري من خلاله ، ان يخرج من ظلمات المخابىء الى النور وان يبني للجميع كامل «مجرى ومصير نضالنا من داخل الحزب وسيماء حزبنا بمجملها وسيماء كل من عناصره البارزة الى حد ما ، فيما يتعلق بالبرنامج والتاكتيك والتنظيم» *

لقد نجح المؤتمر في جمع فرق ثورية متباعدة بعض الشيء عن بعضها واحياناً تكن الواحدة للاخرى العداء ، جمعها في بوتقة المؤتمر الذي كان وسيلة لان يكشف كل اتجاه وتيار عن طبيعته الحقيقة ويقرر من خلال مواقفه وسياسته مقدار قربه او ابتعاده عن الماركسية الثورية . وقد ظهر ذلك فعلاً في كل محاور الصراع الاساسية ، وفي كمية هائلة ايضاً من المماحكات واعمال العرقلة والبذاءات التي كان يلجأ اليها الانتهازيون والوسطيون من اجل عرقلة عملية قيام حزب ثوري من طراز جديد ، موحد والارادة ، ويقوم على اسس من الضبط الحديدي ، في اطار شرعية ثورية واضحة ، ومقبولة طوعياً في كافة اعضاء الحزب .

في عرضنا لمؤلف لينين سوف نلخص القضايا الجوهرية في الصراع ، كما وردت لدى لينين ، ونضع جانباً كمية هائلة من القضايا الصغيرة والتافهة كما يسميها لينين والتي لجأ الى الحديث عنها في مؤلفه بتأثير الحملات الشعواء التي شنت على لينين والاتجاه الثوري عقب المؤتمر وبعد انشقاق عدد من المنظمات الانتهازية التي شاركت في المؤتمر .

وسوف تعرض هذه القضايا وفق التسلسل الاتي :

---

* لينين/ نفس المصدر ص- ٢٩٤ -

١ ـ الانقسام داخل المؤتمر وطبيعته وظروفه .
٢ ـ البرنامج/ المسألة الزراعية والمسألة القومية .
٣ ـ النظام الداخلي والموقف من مبادىء التنظيم الثورية .
٤ ـ الانتخابات وموقف الانتهازيين منها .
٥ ـ معارك مابعد المؤتمر .
٦ ـ خلاصة .

١ ـ الانقسام داخل المؤتمر : وطبيعته وظروفه

عقد المؤتمر بعد تحضيرات دقيقة ادت الى حضور ممثلي كافة الفرق والتنظيمات . وكانت مهمة المؤتمر الاساسية كما يقول لينين هي «انشاء حزب حقيقي على المبادىء والاسس التنظيمية التي كانت صياغتها ووضعتها «الايسكرا» . *جاء ذلك من واقع ان الاتجاه الثوري الذي مثلته «الايسكرا» كان قد وضع اسس كافة المفاهيم السياسية والنظرية ومبادىء التنظيم ، خلال فترة ثلاثة سنوات سبقت المؤتمر ، الامر الذي جعل الاغلبية تعترف بخط «الايسكرا» . لكن شمول التمثيل داخل المؤتمر ادى الى وجود فرق معادية للاتجاه الثوري ، وفرق اخرى مؤيده قولاً له . . ولهذا كان من المحتم ان يتحول المؤتمر الى ميدان قتال «من اجل انتصار الاتجاه الايسكري» **

ومنذ اللحظة الاولى في المؤتمر تبين بجلاء وجود ثلاثة تيارات متصارعة وتصارعت فعلاً حول كل القضايا التي اثيرت في المؤتمر ، وكانت الحصة الاكبر في الصراع قد اتجهت نحو جانب التنظيم .

---

* لينين/ نفس المصدر ص ـ ١١ ـ

** لينين/ نفس المصدر ص ـ ١٢ ـ

اذ ان التيـارات الانتهـازية ، قاتلت بضراوة ضد الاتجاه الثوري ، بصدد الموقف من مبـادىء التنظيم ، نتيجـة خشيتها الفعلية من فقدان استقلالها النسبي وحدليها في الدعوة الى افكارها ، وخلال سير المؤتمر وفي المداخلات واثناء التصويت ظهرت تلاوين عديدة داخل التيارين الانتهازي والوسطي .

فازاء كل قضيــة كان يجري نوع من الاصطفـاف بين بعض الـوسطيـين والكتلة الاساسية المتطرفة ـ كما يسميها لينين ـ من الانتهازيين .

وفي هذا الصـراع كان الانتهـازيون يتوخون تحقيق اغلبية تجعل طروحاتهم نافذة داخل المؤتمر ، وتحويلها الى قرارات ملزمة للجميع . وحين يفشل هؤلاء في كسب هذه القضية او تلك ، يسارعون الى سلسلة طويلة من المماحكات والمعارك الجانبية التي هددت بنسف المؤتمر ، وقد انسحب بعضهم من المؤتمر «البوند وانصار راتشيلو ديلو» حين ادركوا ان الصراع لايسير لصالحهم . اما البعض الاخر فقد «وافق» على قرارات المؤتمر قولاً ، وسط صرخات حربية ضد لينين والاتجاه الايسكري الثوري ، واتهامات لاتحصى ، لكن هذا البعض لم يستطع الصبر طويلاً بعد المؤتمر اذ سرعان ماعلن عن انشقـاقـه الفعـلي ، بعـدم اعترافه بنتائج وقرارات المؤتمر . تحت ذريعة القول ان ماجرى فيه هو «انقلاب» . كما كتب مارتوف ويؤكد لينين ان ماجرى فعلا كان انقـلاب ، لكنـه انقـلاب انتهازي ، اعلن من خلاله ممثلي الانتهازية افتراقهم الفعلي عن الحزب الثوري .

وقـد ادى انسحـاب ممثـلي «البـونـد» وانصار «راتبشيلو ديلو» من المؤتمر الى تأمين اغلبية تامة للاتجاه الثوري ، الذي ظل متماسكاً ، يخوض النضال خلف قيادة لينين داخـل المؤتمـر . الامـر الذي جعل التيار الثوري يفوز في غالبية المعارك داخل المؤتمر وخاصة في المرحلة الاخيرة ، اي الانتخابات ولم تثلم وحدته ، سوى حادثة انشقاق هيئـة تحريـر «الايـسكـرا» وانتقـال بعض اعضـائهـا السبعـة الى جانب الانتهازيين وهؤلاء اضافة الى ممثلين اخرين عن الانتهازيين امثال مارتوف ومارتينوف واخرين .

شكلوا بعـد المؤتمـر هيئـة تحريـر «لـلايسكـرا» الجديدة التي صدرت كلسان حال للاتجـاه الانتهازي والوسطي . في حين استمرت «الايـسكرا» القديمة ، بالصدور

باعتبارها لسان حال حزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي .

الموقف من «البوند»

اظهرت المناقشات حول الموقف من الحزب اليهودي «البوند» ظهور اول تكتل داخل المؤتمر ، فخلال المناقشات حول وضع «البوند» في الحزب والتي انصبت على مناقشة النظام الداخلي «للبوند» ومدى انسجامه مع فقرات النظام الداخلي للحزب ، رفض «البوند» وانضمت اليه «رابوتشيه ديلو» التعديلات التي اقترحها المؤتمر واقرت بالاغلبية والتي اوصت بتعديل النظام الداخلي «للبوند» كي يكون جزءاً من الحزب يتمتع باستقلال ذاتي ، هذا من حيث اصر «البوند» على فكرة «الاتحاد الفيديرالي» التي رفضت من قبل المؤتمر ، فانسحب «البوند» وانصار «رابو تشيه ديلو» من المؤتمر .

اشار لينين الى ان طبيعة تركيبة المؤتمر قد اتضحت بالكامل من هذه الحادثة ، اذ صوت ٣٠ من المندوبين ضد «البوند» واعترض ١٠ هم ممثلي «البوند» و «رابوتشييه ديلو» هذا في حين استنكف ١١ مندوباً هم جميعاً كانوا يمثلون الوسط او «المستنقع» حسب تعبير لينين .

اشار لينين الى معرفة المسبقة بعدم التجانس في المؤتمر فمن بين ٥١ صوتاً يتمتع بها المندوبون كان ٣٣ صوتاً تعود الى انصار «الايسكرا» الذي يهتدون بخط لينين . وكان ١٠ من الاصوات يمثولن الوسط المتردد و ٨ اصوات تعود الى «الاقتصاديين» و «البوند» وهؤلاء كانوا الاعداء الاكثر صراحة لخط لينين . وقد ظهر بين انصار «الايسكرا» اتجاهين : انصار لينين او «الايسكريين الثابتين» وكان لهم ٢٤ صوتاً ، والايسكريون غير الثابتين ولهم ٩ أصوات وكان هؤلاء يميلون في القضايا الاكثر جوهرية نحو الانتهازية ، وساروا تحت زعامة مارتوف وسوف نرى ان نسبة الاصوات الانفة الذكر بقيت كما هي تقريباً في كل القضايا التي جرى التصويت عليها ، مع تغير طفيف في التلاوين بانتقال مجموعة من الوسطيين الى صف الانتهازيين عند

التصـويت حول هذه المسألـة او تلك . حدث نفس الامـر تقـريبـا ، حين اثـار الانتهـازيـون قضيـة الطعن باللجنـة التنظيميـة التي اعدت مشروع النظام الداخلي وكـذلـك في منـاقشـة المـوقف من فرقـة «بـوربـا» ، ومن الـبرنامج الزراعي والنظام الداخلي ، خاصة فقرته الاول ، وفي مسألة حل فرقة (يوجني رابو شي) .

وظهـرت هذه الكتـل باجلى صورهـا اثنـاء التصـويت لانتخاب اعضاء الهيئات المركزية في الحزب ، اي اللجنة المركزية ، وهيئة تحرير «الايسكرا» التي كانت تعتبر هيئة مركزية .

كان الانتهـازيـون والـوسطيـون ينـاضلون من اجـل شيء عزيز على قلوبهم هو المحـافظـة على فرقهم الخـاصة واعتبارها «قيماً تاريخية» مع الاعتراف اللفظي بكون هذه الفـرق جزء من الحـزب ، الامـر الـذي يتعـارض بالكامل مع قضية بناء حزب موحد على اسس واحدة راسخة : هو ماكان يهدف اليه لينين ورفاقه .

٢ ـ البرنامج/ المسألة الزراعية والمسألة القومية

اثـار مشروع الـبرنـامـج الذي كتبه لينين هجمات ضارية من جانب الانتهازيين الذين سعوا الى تعديل فيه يدخل الخلل الى روحه الثوري الكفاحي .

ووقف بعضهم بشكل خاص ضد ادخال البند المتعلق بدكتاتورية البروليتاريا في الـبرنـامـج ، تحت زعم ان التناقضات الطبقية آخذة في الاضمحلال ، واشاروا الى حصول تحسن مادي وارتفاع في مستوى الطبقة العاملة السياسي وان ذلك سيؤدي اتوماتيكيا الى الاشتراكية وقد رفض المؤتمر هذه الحجج جملة وتفصيلاً وايد البرنامج اللينيني حول ضرورة الثورة ودكتاتورية البروليتاريا .

وكما هو الحال عند مناقشة البرنامج العام ، ظهرت خلافات اكثر حدة فيما يتعلق بالـبر نـامـج الـزراعي وخـاض الانتهـازيـون معـركـة تحت افكار تقول انه ليس من الصحيـح وضـع برنـامـج ديمقـراطي لتحـويـل الـريف ، لان ذلـك يعني استبـدال ظلم تاريخي اقطاعي بظلم آخر . وقيلت مزاعم حول ان البرنامج ينظر الى الفلاحين ككل واحد .

ووجدت افكار تقول ان «الموجيك» الروسي قليل الذكاء ، وانه متمسك بشدة بالملكية الخاصة ، ولذلك فانه يجب عدم التعويل على الفلاحين في اي عمل ثوري ، اي الدعوة الى اهمالهم وسط صرخات «كلا ، بين الفلاحين ، لانستطيع ان نفعل شيئاً كبيراً !» *

وقيلت افكار حول انه من المستحيل «اجبار» الاجير الزراعي على النضال الى جانب فلاح غني ، من اجل اصلاح زراعي ديمقراطي .

وساد في كل المناقشات تبسيط وابتذال - كما يقول لينين - شديدين ، فهؤلاء بابتذالهم الماركسية وعدم رؤيتهم للواقع الملموس السائد في الريف في روسيا آنذاك ، وقصر بصرهم القائل ان الفلاح هو برجوازي صغير ولذلك فأنه لايستطيع المساهمة في النضال الثوري ، استنتجوا نتيجة معاكسة بالكامل للمفاهيم الثورية بدعوتهم الى اهمال الفلاحين والتقليل في شأنهم في الثورة ، بدلاً من الاستنتاج الصحيح والثوري القائل ، ان المهمة تتقوم في شن نضال دائب بين صفوف «الفلاحين من اجل كسب كادحيهم واجرائهم الزراعيين الى جانب الحزب الثوري ، ودفع الفلاحين الاغنياء ، وحتى بعض نبلاء الريف المتنورين من اجل ان يساهموا في النضال ضد النظام القيصري الاستبدادي تحت شعارات «ديمقراطية» لابد من حملها ، ولايمكن للنضال النجاح دون ذلك ، واعتبار البرنامج الزراعي الديمقراطي ضرورة تكتيكية ، في مرحلة معينة من النضال بدلاً كل ماسلف وقف الانتهازيون ليرددوا في صرخة واحدة ان «الطبقة الثورية الوحيدة عندنا هي البروليتاريا» **

ومن هذه الموضوعة الصحيحة من حيث المبدأ يستنجدون «اما الطبقات الاخرى فانهم لايوافقون على «مساندتها» *** !

---

* المصدر نفسه ص ٤٦

** المصدر السابق ص ٥٢

*** المصدر السابق ص ٥٢

جاء في البرنامج ان الحزب يساند «كل حركة معارضة ثورية موجهة ضد النظام الاجتماعي والسياسي القائم في روسيا» *

يجب على الحزب الثوري ، ان يوضح للبروليتاري ، ان اية خطوة الى الامام بالقياس الى الحكم المطلق ، هي مكسب يجب النضال لتحقيقه وان التطور الثوري لايمكن ان يجري وفق . رغبات حزعة لبرجوازي يتذبذب بين اليأس ، وبين الثورية التي تريد تحقيق الثورة بضربة عصا سحرية . وعلى مقدار همة الحزب الثوري في النضال بين صفوف جماهير الفلاحين الفقراء تتوقف قدرته على حشدهم وراء الشعارات الديمقراطية كي يساهموا فعلاً في حفر قبر نظام استبدادي كالنظام القيصري . يقول لينين ان الحزب الثوري ان لم يكن قادراً على تقدير القوة الثورية الحقيقة للفلاحين فأنه لايخسر حليفاً اساسياً فقط ، بل يبتعد فعلاً عن كونه حزب يحمل طموحات وآمال الجماهير الشعبية الفقيرة .

كانت نتيجة المعركة في المؤتمر ان اقر البرنامج الزراعي الثوري الذي يقرن حلفاء العمال الاساسيين هم الفلاحون .

المسألة القومية

كان من بين اهم نصوص برنامج لينين ، الفقرات التي تنص على حق الامم في تقرير مصيرها ، ومن حيث الاساس اصطدم مبدأ حق الامم في تقرير مصيرها بمعارضة حزب « البوند » الذي كان يصر على ما اسماه بالاستقلال القومي والثقافي ، وتحت غطاء هاتين الكلمتين الجذابتين كان « البوند » يدعو الى اتحاد البرجوازية والعمال على اساس القومية المشتركية ، والتنكر لوحدة مصالح البروليتاريا من مختلف الامم في النضال ضد مصدر الاستغلال القومي والقوى التي تطمس الاستقلال الثقافي الحقيقي ، أي برجوازية بلدانها بالذات . وقد دافع لينين عن وجهة النظر الثورية بطريقة لامعة ، وبين بالتفصيل ان حق الامم في تقرير

---

* المصدر السابق ص ٥١ التشديد للينين

مصيرها يعني وضع وسيلة جبارة في يد الحزب للنضال الثوري ، باجتذاب القوميات المقهورة في روسيا القيصرية الى جانب البروليتاريا ، وذلك يسهم بنفس الدرجة في تربية الطبقة العاملة بالروح الاممية الحقة .

وكانت مداخلات لينين مقنعة الى الحد الذي اقرت الفقرات المتعلقة بالمسألة القومية كما جاءت في البرنامج بالاجماع فيما عدا استنكاف صوت واحد .

٣ ـ النظام الداخلي والموقف من مبادىء التنظيم الثورية

لم يكن تصويت الانتهازيين لصالح برنامج الحزب ، يعني انهم القوا السلاح جانبا . فكي يكون هناك معنى حقيقي لبرنامج يرى النور والتطبيق الفعلي ويصبح برنامج عمل لكل منظمة حزبية ولكل عضو كان لا بد من وضع هذا البرنامج على اسس تنظيمية صارمة ودقيقة وعلمية ، تجعل من النشاط العلمي عملية لتوحيد الحزب حقاً ودفعهُ خطوات واسعة الى الامام في تنفيذ الافكار السياسية العامة وترجمتها الى نضال ملموس يومي ودؤوب .

ولم يكن لدى لينين اية اوهام حول واقع ان الصراع داخل المؤتمر قد بدأ حقا وبكل معنى الكلمة ، حين طرحت قضية النظام الداخلي . « ان كل امر تنظيم خرب » كما يقول لينين : « كل امر اعادة بناء الحزب فعلا لم يكن بالامكان اعتبارهما منتهين قبل ان يعترف الحزب باسره بافكار معينة في حقل التنظيم ويثبتها شكلا . هذه المهمة هي التي كان ينبغي ان يقوم بها النظام الداخلي . ان الافكار الاساسية التي كانت « الايسكرا » ترغب في جعلها قاعدة لتنظيم الحزب ، تنحصر ، في الجوهر في الفكرتين . كانت الاولى ، فكرة المركزية ، تقر ، من حيث المبدأ ، طريقة حل كل جملة القضايا التنظيمية الخاصة والتفصيلية ، وكانت الثانية ـ دور الجريدة الخاص بوصفها هيئة قيادية فكرية » *

---

* لينين : نفس المصدر ص ٥٥ ، ٥٦ التشديد للينين

وبصدد الاهمية المعطاة للجريدة ، ربط لينين دورها الهام بحاجة الحركة الثورية الروسية آنذاك وحركة الطبقة العاملة ، في ظروف العبودية السياسية الى هذا المنظم الجماعي ، الى الشرارة التي تندلع وتندلع ، حتى يشب الحريق . وغني عن البيان ان مبدأ المركزية الديمقراطية ، مبدأ جوهري في بناء الحزب الثوري ، لا يمكن القول دون ان يسود ان هناك حزباً ثورياً بالفعل . فهذا المبدأ من شأنه ان يربط مختلف اجزاء الحزب ربطاً محكماً وحازماً ويجعل الحزب ككل قادراً على الحركة كجسم واحد حي قادر على تنفيذ القرارات ، بحيوية وابداع . يقول لينين ، انه لكي لا يكون الاعتراف بالبرنامج الثوري ، مجرد حبر على ورق ، ولكي لا تتحول قضية تطبيق البرنامج الى مادة للنقاش والثرثرة الفارغتين كان لا بد من الاعتراف بنظام داخلي سبق ان طورته « الايسكرا » في مقالات عديدة وكذلك في كتابه « ما العمل » وفي « رسالة الى رفيق » . كانت المفاجآة الوحيدة التي باغتت لينين في المؤتمر ، هي موقف مارتوف الذي انحدر - وهو الايسكري القديم - الى صفوف الانتهازيين في الموقف من النقطة الجوهرية في النظام الداخلي . فقد احتد النقاش بصدد المبدأ الاول في النظام الداخلي ، وهو مبدأ شروط العضوية في الحزب . قام مارتوف بطرح صيغته الخاصة المضادة لصيغة لينين . وكانت صيغة مارتوف تنص على انه يكفي ليكون المرء عضواً في الحزب ان يعترف بالبرنامج ويقدم معونة مادية للحزب . اما الانضمام الى احد منظماته فليست الزامية . اما صيغة لينين فقد ضمت ثلاثة نقاط مرتبطة ببعضها ، وهي الشروط الثلاثة التي اصبحت المادة الاولى في كل الانظمة الداخلية لاحزاب الطبقة العاملة وللاحزاب الماركسية الثورية وهذه الشروط هي :

١ - اقرار برنامج الحزب والاستعداد لتنفيذه .

٢ - ان يدفع العضو اشتراكاً شهرياً حسب نسبة تقرر من قبل المنظمات الحزبية .

٣ - ان يعمل العضو في منظمة حزبية .

وواضح ان الفارق بين صيغة مارتوف وصيغة لينين لا تتعلق بطريقة معينة لصياغة نفس الافكار . فبأستثناء الشرط الثالث في صيغة مارتوف ، يصبح من حق أي مواطن ، يحلوله الزعم انه عضو في الحزب ، ان يصبح عضواً ، وذلك يفتح

ابواب الحزب على مصراعيه ، لعناصر لا يمكن اختبارها في مدرسة الحياة والنضال ذاتها ، ولا يمكن الزامها بشيء ، لسبب بسيط هو انها عملياً ـ خارج الحزب ـ لانها ليست مرتبطة بمنظمة مسؤولة امامها وعنها .

وقد ادرك الانتهازيون والوسط في المؤتمر الفارق الجوهري بين الصيغتين فتكتل الايسكريون المشون مع ممثلي الوسط مع الانتهازيين ، ونجحوا في اقرار صيغة مارتوف فقد ابرمت بـ ٢٨ صوتاً للانتهازيين والوسط ضد ٢٢ من انصار لينين واستنكاف صوت واحد .

وكان صراع لينين ضد الانتهازيين فيما يتعلق بشروط العضوية في الحزب وبقية قواعد التنظيم ، قد ادى في آخر المطاف ، الى اقرار الصيغة اللينينية فيما عدا الفقرة الاولى المشار اليها ، الا ان مداخلات لينين وانصاره ضد صيغة مارتوف داخل المؤتمر ، قد تحولت الى مادة للصراع من اجل حسم الموقف من قضية المبادىء الثورية لبناء الحزب في الفترة اللاحقة ، حيث ـ كما معروف ـ اقرت الصيغة اللينينية كاملة في المؤتمر الثالث عام ١٩٠٥ . وفي المؤتمر الثاني وجدت افكار تنظيمية هشة للانتهازيين تحولت الى مادة حية لفضح هذه الاتجاهات غير الثورية ، فقد وقف بعض المندوبين وفي دفاعه عن صيغة مارتوف ، قال انه من الضروري كي يتحول الحزب الى حزب يضم الطبقة كلها ، ان يقبل أي عامل ، أو أي متظاهر ، يخرج للتعبير عن رأيه ضد القيصرية في صفوف الحزب ، واثار ذلك قضية طبيعة الحزب وعلاقته بالطبقة العاملة ، فسخر لينين من مثل هذه الافكار التي تزعم انه بالامكان ان تنظم كل الطبقة العاملة الى الحزب ، بقوله ان ذلك لو كان ممكناً لحسمنا الصراع التاريخي خلال ايام ، وداخل المؤتمر جرى تدقيق الصيغ حول العلاقة بين الحزب والطبقة ، باعتبار الاول طليعة سياسية للثانية ، وهيئة اركان لمعاركها ، وانه يضم الجزء الاكثر تقدماً ، والاكثر استعداداً للنضال والتضحية ، اي انه قلعة الطبقة العاملة ، التي لن يدخلها سوى الشجعان والقادرين فعلاً على حمل شرف لقب المناضل الثوري . ورغم عدم اقرار الفقرة الاولى من النظام الداخلي ، فأن بقية فقرات النظام التي اقرت كما وردت في صيغة لينين ، قد املت الروابط التنظيمية المحكمة ، باعتبارها روابط حزبية الزامية ، مكان الاتصالات غير المنظمة

والعفوية ، بين اللجان والجماعات الاشتراكية الديمقراطية ، وقد ارسى ذلك حقا الاسس التنظيمية للحزب البروليتاري الثوري . وكما وقف الانتهازيون في الصدد من صيغة لينين حول شروط عضوية الحزب ، وقفوا ضد مبدأ المركزية . وهم في ذلك ، ارادوا تقويض الاسس الجوهرية لبناء الحزب الثوري . فتحت مظلة افكار تزعم ان النظام الداخلي بصيغة لينين يكرس « حذر منظم » من الاعضاء ، من خلال اشتراطه لروابط متينة بين الاعضاء والمنظمات ، وتأكيده مبدأ خضوع الاقلية للاكثرية ، والهيئات السفلى للهيئات العليا ، وكان الانتهازيون ، وهم يعبرون عن نفسية برجوازية حقيقية يرفعون الشكوى من « تضخم المركزية » ومن ان ذلك سيؤدي الى وأد الديمقراطية ويقتل روح المبادرة . وفي النقاش حول المركزية ، لم يتخذ مارتوف ومجموعته موقفاً شبيها من موقفهم في قضية شروط العضوية ، وقد فسر لينين ذلك ، بقوله ، ان جميع الذين رفعوا الاصوات ضد المركزية كانوا يخشون على المصالح الضيقة ، الحلقية ، والمحلية لمنظماتهم ولذلك اندفع « البوند » ومجموعة « يوجني رابوتشي » الى الاحتجاج الشديد على المركزية « الفظيعة » وفي مداخلات ممثلي « البوند » و« يوجني رابوتشي » جرت الاشارة الى ان لينين يريد باقراره مبدأ المركزية خنق المنظمات ، وانه يعكس الرغبة في منح المركز سلطة لا حد لها ، كي لا يسمح لاحد بالتدخل في كل الامور ! وزعم هؤلاء ان المركزية لا تسمح بشيء للمنظمات الحزبية الاسفل سوى بحق واحد هو حق الخضوع . ومن المضحك ان هذه التعابير الطنانة ، اصبحت بعد فشل مارتوف ومجموعته في المؤتمر ، هي تعابيرها عقب المؤتمر .

وقد سخر لينين من اولئك الذين يقبلون المركزية حين يكونون اغلبية ويصرخون ضدها حين يصبحون اقلية !

٤ ـ الانتخابات

ولم يكن الصراع فيما يتعلق بمبادىء التنظيم قد اقتصر على الموقف من شروط العضوية ومبدأ المركزية الديمقراطية ، اذ ثار الصراع حول قضية لا تقل اهمية بصدد

مسألة المركزين الحزبيين الاساسيين أي اللجنة المركزية والجريدة المركزية . اذ تعالت الاصوات الانتهازية القائلة ان هيئة تحرير الجريدة المركزية ستكون حسب صيغة لينين ، بمثابة قيادة ثانية للحزب أو انها قيادة موازية . وبصدد هذه المسألة ظهرت ثلاثة اتجاهات الاتجاه اللينيني ، القائل ان الجريدة المركزية هيئة حزبية « مركزية » هامة ، يجري انتخاب اعضائها من قبل اللجنة المركزية مباشرة أو بالتعيين ، والاتجاه الآخر ، مثله الايسكريون المشون ، وكان يرى ضرورة ان ينتخب المؤتمر ذاته هيئة تحرير الجريدة ، اما الانتهازيون فكانوا يطالبون بحق اصدار اكثر من جريدة مركزية ، وبالسماح لمنظماتهم باصدار مجلات وصحف لا تخضع لرقابة مركزية . وكان على المؤتمر ان ينتخب هيئات الحزب المركزية . تعدل الوضع داخل المؤتمر عند انتخاب لجنة الحزب المركزية وهيئة تحرير « الايسكرا » اذ كان ممثلو « البوند » و« الاقتصاديين » قد غادروا المؤتمر زاعمين انهم تضرروا في مصالحهم وبهذا فقد اصبح لينين وانصاره يمسكون بالاغلبية . وحين حلت اللحظة الحاسمة في المؤتمر ، انتخب اعضاء اللجنة المركزية بناء على مقترحات لينين . ومنذ ذلك الحين ظهر مفهوم « البلاشفة » و« المناشفة » فاكثرية المؤتمر التي كانت وراء لينين سميت « بلاشفة » وتعني بالروسية الاغلبية ، وسميت مجموعة مارتوف وبعض الانتهازيين « مناشفة » وتعني الاقلية .

وحاولت الاقلية الفوز « بالاغلبية في المؤتمر ، عبر صراع حر وسافر » * .

وحين فشلوا في فرض افكارهم بصدد انتخاب اللجنة المركزية وهيئة تحرير « الايسكرا » قدموا عدداً كبيراً من الصيغ التي كانت تريد المحافظة على الروح الحلقي ، داخل اللجنة المركزية وهيئة تحرير الجريدة . وكان كل مقترح يجري رفضه من قبل الاغلبية ، يثير جملة من النقاشات وصل بعضها الى حدود استخدام الفاظ خشنة ، حيث انطلقت صرخات ، وقامت معارك ، حول هذه الكلمة أو تلك والتي استخدمها هذا المندوب أو ذلك اثناء تسميته للانتهازيين . ويقول لينين ان كل هذه

* لينين : نفس المصدر ص ١٤٧

المعارك التافهة لم تطمس الاسباب الجوهرية وراء الصراع ، ولا واقع وجود كتل في المؤتمر ، وحقيقة ان الاقلية تخلت عن وجهة نظر الحزب ـ وهي ما تزال في المؤتمر ـ وتبنت وجهة نظر « التفاهة وضيق الافق والروح الحلقي » * .

٥ ـ معارك ما بعد المؤتمر

شن المناشفة عقب المؤتمر هجوما شاملا على الاتجاه الثوري في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي ، وبالذات ضد قيادة لينين وكان زعيمهم مارتوف ، قد استخدم في الهجوم هذا وثائق المؤتمر لكن بعد تشويهها ، واقتطاع ما يشاء منها من سياقه الفعلي وهذا ما دفع لينين الى الرد بتفصيل شديد في كتابه « خطوة » على كل التحركات التي ظهرت عقب المؤتمر . لقد اتهم مارتوف البلاشفة ، بانهم مارسوا « طابعا اجراميا » في الانتخابات ، ووردت اوصاف شبهت البلاشفة « بالعصابة » التي تجيد حبك المؤامرات وفي الكثير من مفاصل القضايا مثار النزاع فضح المناشفة انفسهم بانفسهم ، اذ نرى ان مارتوف في دفاعه عن نفسه يزعم مرة انه كان مع لينين في مسألة النظام الداخلي ، وتارة اخرى يزعم ان صيغته حول شروط العضوية هي نفس صيغة لينين ، أو انه اتفق مع لينين عليها قبل طرحها ، وان الفارق بينهما هو فارق في الصياغة ـ اللغوية ، ويشن مارتوف عقب هذه الاحاديث المنشورة في كتابه « حالة حصار » حملاته ضد المؤتمر وقراراته ونتائج الانتخابات . وقد لخص لينين المعارك التي اعقبت المؤتمر . بكونها « صراع التفاهة وضيق الافق ضد الروح الحزبي ، صراع شر « الاعتبارات الشخصية » ، ضد الاعتبارات السياسية . صراع الاقوال التي يرثى لها ضد مفاهيم الواجب الثوري الاولية » ** .

---

* لينين : نفس المصدر ص ١٥٧

** لينين : نفس المصدر ص ١٦٠

ومن اجل طمس معالم افتراقهم عن النهج الثوري كان الانتهازيون يقولن ان كل ما نشأ في المؤتمر من صراعات جاء نتيجة « تهيج الاعصاب » !

ويرد لينين على ذلك بالقول ، ان كل امرىء يعرف طبيعة حياة المهاجرين الذين يعيشـون حيـاة غير عادية « تفوح منها رائحة العزلة والعفونة » * . يمكن ن يضع يده على مئـات الحـماقـات والاعتبارات الشخصية والاهانات واللطخات ، والخلط بين ما هو منحط وتافه وبين ما هو رفيع وسامي ، لكن المشكلة ليست في هذا اذ « ان حزبـا سيـاسيـا لن يستحق اي اعتبار اذا لم يجروء على ان يسمي المرض الذي يشكو منه باسمه الحقيقي ويشخصه تشخيصاً صارماً لا هوادة فية ، ويبحث عن الوسائل اللازمة لشفائه » **. ويقيناً ان الاحزاب تعاني من امراض سياسية ، يجري التعبير عنها سياسياً ، وفي الحالات التي يجري التعبير من قبل طرف ما ، عن ارائه السياسية من خلال مماحكـات وتفـاهـات ، يمكن الاستنتـاج ان هذا الطـرف يسـاوي بين السيـاسـة وبين تعب اعصابه وفقدانه القدرة على الرؤ ية بوضوح . وكان ذلك حال المنـاشفـة بعد المؤتمر ، لقد كان هناك قضية واحدة اثارت تهيج اعصاب مارتوف كما يقول لينين وهي كونه مني بالفشل في الانتخابات . ولهذا فأن لينين لم يخفي سخريته من اولئك الذين بعد انتهاء المؤتمر اصبحوا يسمون الاشياء الصغيرة باسماء كبيرة ، ويستخدمون كلمات « رهيبة طنانة » لوصف امور واضحة بسيطة .

لقد خرج الانتهازيون من المؤتمر وهم اقلية ، وكان من الطبيعي ، لو كانوا اقلية ثورية ، ان يتصرفوا وفق مبادىء التنظيم ويقبلوا وجهة نظر الاغلبية ويخضعون لها . الا أن الـــذي جرى ان المنـاشفـة لم يتقبلوا هزيمتهم وبـدأوا بالصـراخ عن استئثـار « الايسكرا » بالهئيات المركزية . وباعتبار ان مارتوف ايسكري قديم قال لينين له وهو يسخر ، انه يعتقد ان مارتوف يوافقه على ان من حق الاغلبية ان تثبت تأثيرها المكتسب :

---

* لينين : نفس المصدر ص ١٦٤

** لينين : نفس المصدر ص ١٦٥

« ١ - بادخال الاغلبية نفسها في الهيئات المركزية ، ٢ - بتسليم السلطة لهذه الاغلبية » * .

ان هذه الصرخات الواهنة التي تلازم المثقفين متى وجدوا انفسهم اقلية - كما يقول لينين - هي وراء تفسير « جميع هذه الشكاوي ، والملامات ، والتلميحات ، والولولات ، والشتائم والاشارات اللامتناهية بصدد الاغلبية المتراصة » ** . هذا بالطبع دون ان يكلف هؤلاء انفسهم عناء معرفة سر نشوء الاغلبية والاسباب السياسية والفكرية والتنظيمية التي جعلت اغلبية المؤتمر تقف خلف لينين ولا تسير وراء مارتوف .

يلخص لينين اللوحة العامة للصراع في المؤتمر وفي الفترة التي اعقبته بانه صراع بين الجناح الثوري والجناح الانتهازي في الحزب ، وهذا ما كان يخشى الانتهازيون تسميته بأسمه الحقيقي فيلجئون الى سيل عارم من المماحكات والوقائع المنفصلة والمزورة كي يبتعدوا عن القضية الاساسية والجوهرية التي تمكن من معرفة اسرار انقسام حزب العمال الاشتراكي - الديمقراطي الروسي ، وظهور الاغلبية والاقلية بالطريقة التي ظهر فيها .

٦ - خلاصة

لقد مضى الآن اكثر من ثمانين عاماً على المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي - الديمقراطي الروسي . واثبتت الحياة صحة استنتاج لينين بان الانقسام في المؤتمر لم يكن مصادفة البتة ، وان حزب البروليتاريا الثوري لا يستطيع ان يتخذ موقف المصالحة ازاء الانتهازيين الذي قد ينتقلون عاجلاً أم آجلاً الى مواقع اعداء الطبقة العاملة . وقد حدث ذلك بالفعل في روسيا عقب ثورة اكتوبر . ووجدت في تجارب

---

* لينين : نفس المصدر - ص ١٧٠

** لينين : نفس المصدر ص ١٧٤

الكثير من الاحزاب والمنظمات الثورية لحالات مشابهة . وفي الغالب كان انتقال الانتهازيين الى المواقع المعادية يتم في حالات الازمة الثورية . فحين تطرق الثورة الابواب بقوة ، غالباً ما يجد هؤلاء حلفاء جدد ويصوبون النار على الحلفاء القدامى .

ان خبرة الحزب البلشفي بصدد عدم التهاون مع الانتهازية ذات قيمة تاريخية كبيرة أثّرت ايجاباً في عملية بناء الاحزاب والمنظمات الثورية في عشرات البلدان عقب انتصار ثورة اكتوبر .

ومن الواضح اليوم ان اهمية المؤتمر الثاني التاريخية جلية للعيان ، فقد ولدّ المؤتمر حزب لينين المكافح : حزب من طراز جديد لم يسبق له مثيل ، حزب للثورة الاجتماعية وديكتاتورية البروليتاريا .

وقد انشأ لينين ورفاقه حزباً اجتاز أتون النضال ضد الاتوقراطية القيصرية وسلطة رأس المال وقاد البروليتاريا الروسية الى النصر واقام لاول مرة في التاريخ سلطة الشعب الكادح .

وقد اثر هذا في دوره ـ كما هو معروف ـ في بناء كافة ـ الاحزاب الشيوعية والماركسية الثورية والمنظمات الثورية في عشرات من البلدان الامر الذي يؤكد الاهمية التاريخية الحيوية لافكار لينين بصدد مبادىء واسس الحزب الثوري .

* * *

الفهرس



Mouyn